



مَجَلَّةُ الْجَامِعَةِ الْقَادِيسِيَّةِ لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالذَّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٌ



المجلد: 6، العدد: 1

ذو الحجة 1447هـ / يونيو 2026م

الترقيم الدولي للمعاريح للدوريات: 5542-2788

ابن بري الفاسي (730 هـ) وإسهامه في تأسيس المدرسة المغربية لتعليم
القرآن

IBN BERRI AL-FASI)D. 730 AH (AND HIS
CONTRIBUTION TO THE ESTABLISHMENT OF THE
MOROCCAN SCHOOL OF QUR'ANIC EDUCATION⁽¹⁾

سفيان كروم

جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب

Soufiane Kerroum

Ibn Zohr University, Agadir, Morocco

⁽¹⁾ Article received: June 2025; article accepted: August 2025

الملخص

يتناول هذا البحث جهود الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن بري الفاسي (730هـ) في ترسيخ معالم مدرسة مغربية متميزة في تعليم القرآن الكريم، من خلال تحليل أثره في علوم الضبط والرسم والقراءات، مع التركيز على منظومته الشهيرة الدرر اللوامع في أصل مقراء الإمام نافع. ويهدف البحث إلى إبراز إسهامات ابن بري في توحيد منهج الأداء القرآني، وتقييد القراءة برواية ورش عن نافع، بوصفها جزءاً من الهوية الدينية المغربية. كما يروم الوقوف على الخصائص العلمية والمنهجية لهذه المدرسة، وسبل تفعيلها في تطوير التعليم القرآني المعاصر. ينطلق البحث من إشكالية مفادها: مدى إسهام ابن بري في بناء تقاليد مدرسة مغربية في الضبط والرسم، وما مدى قابلية هذه الأسس المنهجية لأن تُفَعَّل في السياق الراهن. ويعتمد البحث منهجين متكاملين: المنهج التاريخي، لتتبع الوضع العلمي والثقافي الذي تشكّل فيه فكر ابن بري، والمنهج التحليلي، لدراسة مضامين منظومته وتحليل بنيتها التعليمية والدلالية. ومن خلال استقراء الشروح والتفاعلات العلمية التي أثارها هذه المنظومة، يرصد البحث الأثر العميق الذي تركه ابن بري في مدارس القراءة المغربية، وفي ضبط الأداء القرآني نظرياً وعملياً. ويخلص إلى أن استحضار هذا التراث الضبطي المؤسّس يُعد مدخلاً حيويًا لإعادة تحديد مقررات التكوين القرآني، وتوحيد مناهج التعليم في المجالس والمدارس والجامعات، بما يعزز استمرارية المرجعية المغربية في علوم القرآن.

Abstract

This study examines the scholarly contributions of Imam Abū al-Ḥasan ‘Alī ibn Muḥammad Ibn Berri al-Fāsī (d. 730 AH) to the formation of a distinct Moroccan tradition of Qur’anic education, with particular focus on the disciplines of orthography (*rasm*), diacritical notation (*dabṭ*), and Qur’anic recitation (*qirā’āt*). At the center of this inquiry is his influential didactic poem *al-Durar al-Lawāmi’ fī Aṣl Maqra’ al-Imām Nāfi’*, which emerged as a foundational text in the Moroccan

transmission of Warsh ‘an Nāfi‘ and became emblematic of the region’s Qur’anic identity. The study seeks to analyze Ibn Berri’s role in standardizing modes of Qur’anic performance and in codifying principles of orthographic and phonetic precision within the *Maghrib*. It further aims to evaluate the methodological and epistemological characteristics of this scholarly tradition and to explore its potential relevance for the reform of contemporary Qur’anic pedagogy. The central research question addresses the extent to which Ibn Berri contributed to the development of a coherent Moroccan school in *rasm* and *dabt*, and how this intellectual legacy may inform current efforts to renew Qur’anic instruction. Adopting both historical and textual-analytical approaches, the research situates Ibn Berri’s work within the broader intellectual context of his era while offering a close reading of *al-Durar al-Lawāmi‘* in terms of its structure, pedagogical objectives, and technical content. In addition, the study traces subsequent scholarly engagement with his work across generations, highlighting its enduring influence on recitational traditions, instructional methodologies, and the cultivation of phonetic discipline in Qur’anic education. Ultimately, the study argues that reintegrating this foundational legacy into modern curricula has the potential to enhance coherence, authenticity, and continuity within Moroccan Qur’anic scholarship.

الكلمات المفتاحية: ابن بري الفاسي، علم الضبط، علم الرسم، القراءات القرآنية، التعليم القرآني.

Keywords: Ibn Berri al-Fasi, Diacritical Notation (*Ḍabt*), Orthography (*Rasm*), Qur’anic Recitations (*Qirā’āt*), Qur’anic Education.

المقدمة

شهد المغرب الأقصى عبر عصوره الإسلامية نهضة علمية متنامية، كان من أبرز معالمها التميز في خدمة القرآن الكريم وعلومه. وقد أسهمت عوامل مختلفة، منها الاستقرار السياسي، وازدهار الحواضر العلمية مثل فاس ومراكش، ووفرة الكراسي العلمية، في جعل هذا القطر الإسلامي مهداً لمدرسة قرآنية ذات طابع علمي خاص. ومن بين أبرز العلماء المغاربة الذين اضطلعوا بدور محوري في ترسيخ هذه الخصوصية، الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن بري الفاسي (ت. 730هـ)، الذي يُعدّ عَلمًا بارزًا في علوم الضبط والرسم والقراءات في الغرب الإسلامي.

لقد مثّلت منظومته الشهيرة (الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع) علامة فارقة في تأصيل علم الضبط والرسم في البيئة المغربية، حيث أصبحت مرجعًا معتمدًا لدى المدارس القرآنية، ورافدًا رئيسًا من روافد التعليم القرآني، لاسيما في إطار رواية ورش عن نافع التي شكّلت جزءًا من الهوية القرآنية المغربية. وقد أسهم ابن بري، من خلال هذا النظم، في وضع أسس منهج مغربي متميز في التعامل مع النص القرآني، من حيث أدائه وكتابته وضبطه، وهو ما كوّن نواة مدرسة قرآنية ما تزال آثارها فاعلة إلى اليوم.

وإذا كان لجهود الإمام ابن بري أثر بارز في عصره، فإننا اليوم، في ظل التحولات المعرفية والتقنية، أحوج ما نكون إلى استحضار هذا التراث التأسيلي لتجديد الدرس القرآني وتحسينه، سواء في الضبط أو الرسم أو القراءات، بما يضمن استمرارية التلقي السليم للنص القرآني، ويعزز ثبات المرجعية المغربية في تعليم القرآن الكريم.

لقد قدم الإمام ابن بري، من خلال منهجه المتقن، أنموذجًا علميًا يمكن الاستفادة منه في ضبط معايير الأداء القرآني، وتوحيد مناهج التعليم القرآني، وتطوير مقررات التكوين في المدارس والمجالس العلمية، وحتى في الجامعات المغربية الحديثة.

وفي هذا الإطار، اختار هذا البحث دراسة أثر الإمام ابن بري في تأسيس معالم مدرسة مغربية لعلوم القرآن الكريم، وتحليل منهجه في علم الضبط، واستجلاء مكانته في صدد

تطور هذه العلوم في المغرب الأقصى. وستعمد في عرض ملامح هذه الشخصية العلمية المتميزة، على تتبع آثارها في ترسيخ أصول "المدرسة الرسمية" للقراءة بالمغرب، اعتمادًا على ما وصلنا من إنتاج علمي، وما أثارته هذه المدرسة من تفاعل ونقاش علمي على مر العصور.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا البحث في الكشف عن الدور التأسيسي للإمام ابن بري وتأثيره في المدرسة المغربية لعلوم القرآن، من خلال دراسة منظومته التجويدية وتوصيف منهجه في الضبط والرسم. ويسعى إلى إبراز مساهمته في ترسيخ مرجعية قرآنية مغربية متميزة ما تزال آثارها حاضرة إلى اليوم. كما يهدف إلى استثمار هذا التراث في تحديد مناهج التعليم القرآني وضبط الأداء في الأنساق المعرفية المعاصرة.

الدراسات السابقة:

حظي الإمام ابن بري الفاسي باهتمام عدد من الباحثين الذين تناولوا جهوده في مجال القراءات والتجويد، نظراً لدوره المؤسس في تقعيد المدرسة المغربية لتعليم القرآن الكريم. وقد تنوعت المقاربات التي تناولت سيرته العلمية، إلا أنها - رغم أهميتها - لم تُولَ عناية كافية بالبعد التربوي والمنهجي لمشروعه.

يأتي في مقدمة هذه الدراسات مؤلف محمد بن أحمد الأمراني المعنون "ابن بري النازي إمام القراء المغاربة" (منشورات وزارة الأوقاف، 1996م)، والذي يُعدّ من أبرز التراجم المفردة التي حُصّ بها ابن بري، حيث ركّز فيه المؤلف على إبراز مكانته العلمية ضمن أعلام القراء، مع عرض وافٍ لسيرته ومؤلفاته. غير أن العمل اتخذ منحى توثيقياً تقليدياً، إذ لم يتجاوز الإطار التعريفي إلى تحليل المشروع البيداغوجي لابن بري أو رصد أثره في تأصيل النموذج المغربي لتعليم القرآن الكريم.

أما عبد الهادي حميتو، فقد أشار في كتابه "قراءة الإمام نافع عند المغاربة" (منشورات وزارة الأوقاف، 2003م) إلى شخصية ابن بري ضمن مجال أوسع يتناول نشأة وتطور

المدرسة القرآنية بالمغرب، متناولاً أعلامها ومناهجهم، إلا أن التركيز كان منصباً على الأداء القرآني ومصادر الرواية، لا على البناء التربوي أو المقومات التعليمية الناطمة لهذا المسار. وفي عمل لاحق أكثر اقتراحاً من البعد التعليمي، ألف الشيخ أحمد ولد الطالب محمود الإدوعيشي الشنقيطي كتابه "إتحاف القارئ والمتعلم بنظم ابن بري للدرر اللوامع" (دار الإسرء، نواكشوط، 2023م)، واهتم فيه بشرح منظومة ابن بري وتيسير حفظها للمتعلمين، مركزاً على الشرح اللفظي والمعنوي، مع بُعد بيداغوجي وظيفي موجّه للدارسين المعاصرين. إلا أن هذا الجهد ظل محصوراً في بعده الشارح، ولم يتوسّع في تحليل الخلفية التربوية والتاريخية لتأليف المنظومة أو في استقراء أثرها في تشكيل الهوية التعليمية المغربية في مجال القرآن الكريم.

وعلى هذا، فإن هذه الأعمال . مع تقدير ما أضافته من معطيات مهمة . لم تتناول بشكل مباشر الإسهام التربوي والمنهجي لابن بري في تأسيس المدرسة المغربية لتعليم القرآن الكريم، ولا وقفت على الوظيفة التكوينية لمنظومته التجويدية ضمن مشروع تعليمي شمولي . ومن هنا تتحدد أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى تجاوز الطابع التوثيقي والشارح نحو قراءة نسقية تحليلية لدور ابن بري في بناء نموذج مغربي متميز لتدريس القرآن والقراءات، داخل الحواضر والمدارس العتيقة، من خلال ربط منظومته التجويدية بسياقها المعرفي والتربوي المؤسّس.

إشكالية البحث وأسئلته:

على الرغم من غزارة الإنتاج العلمي في علوم القرآن بالمغرب الأقصى، فإن جهود عدد من الأعلام ما تزال في حاجة إلى دراسات وأبحاث علمية وافية. ويأتي في مقدمة هؤلاء الإمام أبو الحسن ابن بري الفاسي، الذي يُعد من أبرز المشتغلين بعلوم الرسم والضبط والقراءات، وقد شكّلت أعماله حلقة محورية في ترسيخ تقاليد مدرسة مغربية متميزة، تقوم على التأصيل والضبط المتوازن.

ومن هذا المنطلق، تركز إشكالية البحث على السؤال الآتي:

إلى أيّ حدّ أسهم الإمام ابن بري الفاسي في ترسيخ معالم مدرسة مغربية متميّزة في علوم القرآن الكريم، خاصّة في علمي الرسم والضبط، وما الخصائص المنهجية والمعرفية التي تميز هذه المدرسة؟

وما مدى قابلية هذا التراث لأن يُعاد تفعيله والاستفادة منه في تطوير التعليم القرآني في السياق المغربي المعاصر؟

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والمعرفية، تتمثل فيما يأتي:

1. التعريف بشخصية ابن بري الفاسي، وإبراز مكانته في علوم القرآن، ولاسيما في مجال الرسم والضبط.
2. تحليل منظومة "الدرر اللوامع" من حيث منهجها العلمي، وبنيتها التعليمية، ومضمونها الدلالي، مع بيان أثرها في ترسيخ قواعد الأداء القرآني بالمغرب.
3. الكشف عن إسهامات ابن بري في علوم الرسم والضبط والقراءات، وبيان موقعه ضمن مسار التأليف المغربي في هذه المجالات.
4. تتبع صدى المنظومة في المحيط المغربي الأقصى، ورصد أثرها في التعليم القرآني والتقعيد الصوتي واللغوي داخل مدارس القراء.
5. الوقوف على نشاط الشروح والاستدراكات التي تناولت نظم ابن بري، وتقييم طبيعة التفاعل العلمي معه في مختلف العصور.

منهج البحث وخطته:

يندرج هذا البحث ضمن الدراسات التحليلية التاريخية، حيث تعتمد على منهجين رئيسيين: المنهج التاريخي: ويهدف إلى تتبع حياة ابن بري الفاسي وسياقه الثقافي والعلمي، مع رصد موقعه ضمن تطوّر علوم القرآن والقراءات بالمغرب. ثم المنهج التحليلي النصي: الذي يسعى إلى تحليل مضامين منظومة "الدرر اللوامع" لابن بري، واستجلاء معالمها المنهجية، وخصائصها الأسلوبية، والقضايا الضبطية التي تناولتها.

وقد تم توزيع مادة البحث في مبحثين وعدة مطالب، على النحو الآتي:

• المبحث الأول: الإمام ابن بري الفاسي وبيئته العلمية والثقافية

المطلب الأول: التعريف بالإمام ابن بري الفاسي

المطلب الثاني: البيئة الثقافية والعلمية التي نشأ فيها ابن بري

المطلب الثالث: إسهام ابن بري في بناء مدرسة الرسم القرآني بالمغرب

• المبحث الثاني: نظم ابن بري وأثره في تعليم الضبط القرآني بالمغرب

المطلب الأول: نظم الدرر اللوامع: البناء المنهجي ومضامين الضبط

المطلب الثاني: أثر نظمه في التعليم القرائي بالمغرب

المبحث الأول: الإمام ابن بري الفاسي وبيئته العلمية والثقافية

المطلب الأول: التعريف بالإمام ابن بري الفاسي

1. نشأته ونسبه

وُلد الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين، الشهير بابن بري، سنة 660هـ، بمدينة تازة، في فترةٍ عرفت فيها الحاضرة المغربية ازدهارًا علميًا ملحوظًا، خاصة في علوم القرآن الكريم. وينتسب إلى رباط تازة، ولذلك يُعرف بالرباطي، كما يُقال إنه من أصل تسولي، من فخذ يُعرف بـ "بني لنت" (1)، من قبيلة بربرية. وقد تلقى تعليمه الأول في الكتاب القرآني، على عادة أبناء المغرب الأقصى، فحفظ القرآن الكريم في سنٍّ مبكرة، وتعلّم مبادئ علم الرسم والضبط، كما حفظ عددًا من المتون التعليمية الأساسية التي كانت تمهيدًا ضروريًا للالتحاق بالمجالس العلمية الكبرى لاحقًا.

وقد أشار الباحث حسن السايح إلى أن التلميذ في العهد المريني وما بعده، كان يُشترط فيه قبل ولوج المعاهد العلمية أن يكون حافظًا للقرآن الكريم، متمكنًا من قواعد الرسم والتجويد، حافظًا لجملة من المنظومات التعليمية، مثل منظومة الفرائض والحساب، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ)، وغيرها من المتون التي شكّلت معالم التكوين العلمي الرصين (2).

وبعد أن استقرت أسرة الإمام ابن بري بمدينة تازة، وجد في هذه الحاضرة بيئةً خصبةً لمواصلة تكوينه. وقد تصدّر شيوخ المدينة لتلقيه فن القراءات، وفي طليعتهم الإمام أبو الربيع سليمان بن محمد بن علي بن حمدون الشريشي (ت 709هـ)، المقرئ المحقق الذي أخذ عنه سنده الأعلى. وقد خلّد ابن بري اسمه في مطلع أرجوزته المشهورة بقوله:

(1) الحفناوي، محمد، "تعريف الخلف برجال السلف". (ط1، الجزائر: مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، 1906م)،

2: 12.

(2) السايح، الحسن، "الحضارة الإسلامية في المغرب". (ط2، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع،

1986م)، ص: 175.

حَسَبَمَا قَرَأْتُ بِالْجَمِيعِ عَنِ ابْنِ حَمْدُونَ أَبِي الرَّبِيعِ
الْمُثَرِّبِي الْمُحَقِّقِ الْفَصِيحِ ذِي السَّنَدِ الْمُقَدَّمِ الصَّحِيحِ

ويؤكد المؤرخ ابن الخراط هذه النشأة العلمية في قوله إن ابن بري "نشأ بتازة، بزقاق الزرقانين منها، واجتهد كثيراً في الذكر والبحث والمطالعة، وكان من طلبة تازة وعدوها ، وانتقل إلى فاس كاتباً سنة 724هـ" (1)، مما يدل على انخراطه المبكر في حلقات العلم التي اشتهرت بها المدينة. يقول الأستاذ عبد الهادي حميتو: "وقد عاصر أبو الحسن بن بري عهد التأسيس من دولة بني مرين، كما أدرك منذ أول شبابه زمناً مهماً من عهد فتوة هذه الدولة وشبابها وقوتها، واستفاد من خلال ذلك مما تأثرت لها من مظاهر النهضة العمرانية والحضارية والعلمية، مما تجسد في فاس وباقي الحواضر، وعلى الأخص في المنطقة الشمالية التي كانت يومئذ زاخرة بالنشاط العلمي بحكم استفادتها من هجرة علماء الأندلس إليها، واحتكاكها الطويل بالجهات والحواضر الباقية من الأندلس" (2).

ومما لا شك فيه أن مدينة تازة قد اضطلعت بدور محوري في التاريخ العلمي والسياسي للدولة المرينية، إذ مثلت العاصمة الفعلية الأولى لهذه الدولة الناشئة، قبل أن تتخذ فاس الجديدة (المدينة البيضاء) مقراً رسمياً للحكم. وقد منح هذا الوضع السياسي المتقدم المدينة مكانة اعتبارية متميزة، تُرجمت في صورة عهد أو التزام رسمي من الدولة تجاه أهل تازة، يُشبه في مضمونه "ظواهر التوقير والاحترام" (3) التي اعتادت السلطة إصدارها لتكريم أصحاب السابقة والفضل من الوجهاء والعلماء وذوي البيوتات الشريفة. وكان من شأن مثل هذا العهد أن يُثمر عناية خاصة بأبناء المدينة، ولا سيما الناهجين من

(1) الإسحاق، أبو محمد، "الرحلة الحجازية". (مخطوطة، محفوظة في خزانة القرويين، رقم: 1259).

(2) حميتو، عبد الهادي، "قراءة الإمام نافع عند المغاربة". (ط1، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003م)، 3: 109.

(3) السوسي، محمد المختار، "المعسول في الإلغيين وأساتذتهم وتلامذتهم وأصدقائهم". (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 1: 160.

علمائها، ويؤدي إلى تقريب رموزها العلمية من دوائر القرار، فضلاً عن الاهتمام بعمرائها، وتشجيع نهضتها العلمية من خلال بناء المدارس، وتوفير الكراسي العلمية، والعناية بالمساجد والمشايخ.

وقد تعزّز الإشعاع العلمي لمدينة تازة بعاملٍ آخر لا يقلُّ أهمية، يتمثّل في وفود عدد من العلماء من مختلف الأقطار الإسلاميّة، وخاصة من الأندلس، بسبب ما شهدته من اضطرابات سياسية متلاحقة. وقد استقبلت المدينة نخبةً من العلماء والقراء الكبار، كان من أبرزهم أبو الربيع بن حمدون الشريشي، أحد شيوخ الإمام ابن بري في قراءة نافع، كما تُظهر ذلك مشيخة محمد بن شعيب المجاصي وغيره. وقد أسهم هذا الامتداد الأندلسي في إنعاش الحركة العلمية بمدينة تازة، وتعزيز رصيدها في علوم القرآن والقراءات، حتى غدت إحدى الحواضر العلمية الرائدة في الغرب الإسلامي خلال العصر المريني.⁽¹⁾

وفي هذا المناخ العلمي الخصب، تلقّى الإمام ابن بري أصول الأداء القرآني، وتدرب على طرائق الضبط والرسم، وتمرّس بكتب القراءات والرسم القرآني، فاشتدّ عوده العلمي على منهجٍ يجمع بين الموازنة النظرية والمراس العملي، وهو ما أهله لاحقاً لتأليف منظومته الشهيرة "الدرر اللوامع"، التي مثّلت منعطفاً حاسماً في ترسيخ دعائم المدرسة المغربية في علم الرسم والضبط، وجعلت من مؤلفه مرجعاً معتمداً في الكتابات والمجالس وحلقات الإقراء في بلاد المغرب والأندلس.

شيوخ ابن بري وأساتذته:

تلقى الإمام أبو الحسن ابن بري تكوينه العلمي والقرائي على يد نخبة متميزة من العلماء الذين كان لهم بالغ الأثر في صقل شخصيته العلمية، وتوجيه مساره نحو علوم القرآن، خاصة علم الضبط والرسم والقراءات.

ومن أبرز شيوخه:

(1) حميتو، "قراءة الإمام نافع عند المغاربة"، 3: 109.

- أبو الربيع سليمان بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن حمدون الشريشي (ت: 709هـ)، وهو أستاذه المباشر في علم القراءات، وقد وصفه ابن بري بـ "الشيخ الفقيه، الخطيب، الحاج، المقرئ المتقن"، مؤكداً أنه أخذ عنه رواية نافع المدني من طريقي ورش وقالون، كما ورد في قوله في منظومته:
- "قرأت القرآن الكريم برواية نافع، من طريقي ورش وقالون، على نحو ما نظمته في هذا الرجز، على سيدي الشيخ الفقيه، الخطيب، الحاج، المقرئ المتقن، أبي الربيع سليمان بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن حمدون الشريشي، جمعاً بين الطريقيين المذكورين"¹.
- وقد نقل عنه هذا التصريح محمد بن عبد الملك المنتوري (ت: 834هـ) في شرحه للمنظومة، كما أورد ابن المجراد محمد بن عمران السلوي (ت: 778هـ) في شرحه لـ "الدرر اللوامع"، أن ابن حمدون، شيخ ابن بري، تلقى علم القراءات عن ثلاثة من كبار المقرئين:
- الإمام أبو بكر محمد بن موسى بن فعلون السكسكي (ت: 591هـ).
- الشيخ الإمام المقرئ أحمد بن محمد الأزدي الأشبيلي المعروف بابن السراج (ت: 657هـ).

- الإمام المحدث محمد بن سليمان المعافري الشاطبي (ت: 672هـ).

وقد تلقى هؤلاء أسانيدهم عن أئمة الأداء، الأمر الذي أضفى على سند ابن بري قوةً وتجديداً معرفياً، وربطه بسلسلة متصلة من أعلام القراءات في الغرب الإسلامي والأندلس. وفي هذا الصدد، نبّه الأستاذ عبد الهادي حميتو إلى مظهر من مظاهر التقصير في تاريخ المدرسة المغربية في علم القراءات، منتقداً المصادر التاريخية التي اكتفت بذكر شيخ واحد فقط لابن بري، هو أبو الربيع بن حمدون الشريشي، رغم أن مكانة ابن بري العلمية تؤهله لأن يكون من أعلام طبقته، فقال مستغرباً:

(1) القيسي، الفتوري محمد بن عبد الملك، "شرح الدرر اللوامع في أصل مقر الإمام نافع". تحقيق الصديقي سيدي فوزي، (ط1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2001م)، ص: 84.

"ومن الغريب أن نجد المصادر التي أرخت لأبي الحسن لا تذكر من مشيخته إلا الشيخ أبا الربيع بن حمدون، الذي صرح بروايته عنه في أرجوزته حيث يقول: حسبما قرأت بالجميع عن ابن حمدون أبي الربيع.

وهذا تقصير شنيع في حق إمام كبير كأبي الحسن، بل في حق تاريخ المدرسة المغربية في القراءة... ولولا أن ابن بري صرح بأخذه عن هذا الشيخ في أرجوزته لذهب ذكره ونسي اسمه من التاريخ، ولحق بأمثاله ممن ذهب ذكرهم فلم يبق منه عين ولا أثر"⁽¹⁾.

ومن ثم، فإن إمامًا بهذه المنزلة كان حقيقًا بأن تُفصل حياته العلمية وتوثق أسانيده، كما هي عادة العلماء الكبار. ولعلّ أرجوزته العصماء، وما نشأ حولها من شروح وتعليقات ونشاط علمي، كفيلة بإبراز هذا التألق وترسيخ منزلته بين أعلام المغرب في علم القراءات. ومن شيوخ ابن بري البارزين أيضًا:

- مالك بن المرّحل أبي الحكم المصمودي السبتي (ت: 699هـ)، وكان من كبار الفقهاء والأدباء، وله شهرة واسعة في المغرب والأندلس.

- محمد بن محمد بن إدريس، أبو بكر القضاعي الفللسي (ت: 707هـ)، الشاعر الفرضي المعروف، وكان له اهتمام خاص بعلوم الفرائض، وهو ما يشير إلى تنوع التكوين العلمي لابن بري.

- أبو الحسن علي بن سليمان الأنصاري القرطبي (ت: 730هـ)، شيخ الجماعة ومقرئ فاس، ومن المؤلفين في قراءة نافع، وكان له أثر علمي معتبر في المدينة.

- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت: 708هـ)، من أعلام غرناطة، وشيخ مقرئها، وقد عرف بسعة علمه ودقته في علوم الأداء.

كما تأثر ابن بري ببعض معاصريه الذين كانوا في مقام الأقران الكبار، وأخذ عنهم أو شاركهم الدرس والنقاش، ومنهم:

(1) حميتو، "قراءة الإمام نافع عند المغاربة"، 3: 118.

- أبو الحسن الصغير علي بن محمد بن عبد الحق الزرّولبي (ت: 719هـ)، الذي وصفه ابن بري بـ "الشيخ الفقيه، القدوة، المفتي"، وكان يُعَدُّ من كبار العلماء في المغرب الأوسط والأقصى، وعُرف بحمله للواء الفقه المالكي.

- العلامة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد الأبي التلمساني (ت: 757هـ)، الذي كان من كبار علماء المغرب الإسلامي، وهو شيخ الإمام المقرئ لاحقاً، وقد يُعَدُّ من الأعلام الذين تأثر بهم ابن بري أو كانت بينه وبينهم صلوات علمية مباشرة أو غير مباشرة.

جمع ابن بري من خلال هؤلاء الشيوخ علوم القرآن على تنوعها، ما بين الأداء والرسم والضبط والقراءات، وانفتح على مختلف البيئات العلمية في الغرب الإسلامي، من المغرب إلى الأندلس، مما أتاح له تأسيس منهج متين في علم الضبط القرآني، تجسّد لاحقاً في منظومته الخالدة الدرر اللوامع التي تعد إسهاماً فريداً في تعليم القرآن.

قال عنه الفقيه المارغني: "كان" علماً عاملاً بارعاً في علوم شتى كالقراءات، والتفسير والحديث والفقه، والفرائض واللغة والنحو والعروض، ذا نظم عذب وخط حسن".⁽¹⁾

وقال عنه الأستاذ عبد الله كُنُون: "أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسن التازي الشهير بابن بري، أحد المهرة في العلوم العربية والقراءات، وكان كاتباً بليغاً لغويًا عروضيًا متفنناً في كثير من العلوم وله خط بارع ونظم جيد. وهو صاحب الدرر اللوامع في قراءة نافع وغيرها من الكتب النحوية والعروضية. وتوفي سنة 731" ⁽²⁾

ونقل عنه الإمام الوُثْشَرِيْسِي في المعيار المعرب: "انتهت الأجوبة من خط الشيخ الأستاذ أبي الحسن علي بن محمد بن بري، نقلها من خط السائل وأشاد به الوُثْشَرِيْسِي،

(1) المارغني، إبراهيم. النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع. (ط1، بيروت: دار الفكر، 1995م)، ص: 175.

(2) كُنُون، عبد الله، "النبوغ المغربي في الأدب العربي". (ط1، الدار البيضاء: دار الثقافة، 1988م)، 1:

ونقل له تقييدات، والمجيب في السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم من عام أربعة وعشرين وسبعمائة⁽¹⁾.

ويُفهم من هذا النقل أن ابن بري كان مرجعًا يُرجع إليه في الإفتاء والنظر الفقهي، إلى جانب اشتغاله بعلوم القرآن، مما يعزز صورته بوصفه عالمًا موسوعيًا تميّز بالحضور العلمي الفاعل داخل المدرسة المغربية.

1.1. تلاميذه وأثره في الأوساط العلمية:

ظل الإمام ابن بري مرابطاً بمدينة تازة، يواصل نشاطه العلمي والتعليمي، فقصده الطلبة من مختلف الحواضر المغربية، حتى أصبح من أقطاب التعليم القرآني واللغوي في المنطقة. وتلمذ عليه جمع من العلماء والأدباء الذين ذاع صيتهم لاحقًا، ومن أبرزهم:

- عمرو بن أحمد بن الميّمون الفُشتّالي، الأديب المعروف ابن العشّاب التازي، من أهل العلم والتوثيق.

- أبو عبد الله محمد بن شعيب المجاهي، الذي تخرج على يديه في علوم القراءات.

- القاضي التُّرْجالي، أحد رجال القضاء المعروفين في عصره.⁽²⁾

ويُبرز هذا التنوّع في تلامذته مدى اتساع أثر ابن بري العلمي، وامتداد إشعاعه التربوي والتكويني إلى مجالات معرفية متعددة، شملت الأدب واللغة، كما امتدت إلى الفقه والقضاء، وبلغت ذروتها في علوم القرآن والقراءات. وهو ما يظهر مكانته الراسخة في منظومة التعليم المغربي في العصر الوسيط، ويشهد له بريادته في مجال التأليف والتدريس على السواء.

(1) الونشريسي، أحمد، "المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب". تحقيق محمد

عثمان، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2011)، 12: 263-290.

(2) الشنقيطي، أحمد ولد الطالب محمود ولد أعمار الإدوعيشي، "إتحاف القارئ والمتعلم بنظم ابن بري ت:

731 هـ للدرر اللوامع مع الأخذ والمقدم". (ط1، نواكشوط: دار الإسرء للطباعة والنشر والتوزيع، 2023م)،

ص: 12.

كانت وفاة ابن بَرِّي . رحمه الله . سنة 730هـ. وقد حدّد كل من محمد الشرقي الإسحاقى وأحمد الوَنْشَرِيسِي تاريخ وفاته بدقة، فذكروا أنه توفي يوم الثلاثاء 23 من شهر شوال من السنة نفسها، وكان يشغل حينئذ منصب كاتب الخلافة. وعلى الرغم من أن المنية أدركته بمدينة فاس، فقد نُقل جثمانه ليُدفن بمدينة تازة، المدينة التي قضى فيها معظم حياته، وارتبط اسمه بما علّمًا وتعليمًا، وظل يُذكر في كتب التراجم والطبقات مقترنًا بها، دلالة على عمق الأثر، ودوام الصيت.⁽¹⁾

1.2. آثاره العلمية:

خلف الإمام ابن بري إرثًا علميًا زاخرًا، تنوّع بين علوم القراءات، واللغة، والفقه، والتوثيق، والعروض؛ وأكثره في صيغة منظومات وشروح وتعليقات، مما يبين تكوينه المتين داخل التقاليد التعليمية المغربية.

ويكفي في الدلالة على أثر الإمام ابن بري ومكانته في المشهد القرآني المغربي، ما وصفه به الأستاذ عبد الهادي حميتو، إذ عدّه عميد الاتجاه "الرسمي" وممثل "المدرسة الأثرية" في قراءة الإمام نافع. وهو وصف يجمع بين التأصيل العلمي المتجدد، والتمثيل المؤسسي لهذا الاتجاه، مما يعبر عن الدور المركزي الذي اضطلع به ابن بري في ترسيخ ملامح المدرسة المغربية في علوم القرآن، وضبط مسارها عبر الأجيال، فقال: "إذا كان كل من الشيخين أبي عبد الله بن القصاب وأبي الحسن بن سليمان قد مثلا كل من جانبه في قراءة الإمام نافع بن أبي نعيم المدني، أصول مدرسة فنية واضحة المعالم قائمة البنیان، وكانت كل مدرسة منهما قد أثمرت لنا شخصيات رفيعة الشأن عالية المستوى في القيام على قراءة إمام دار الهجرة في القراءة من روايتي راويي قراءته المشهورين : أبي سعيد عثمان بن سعيد ورش وأبي موسى عيسى بن مينا قالون من أشهر الطرق عنهما - كما مر بنا- مما أمكن معه لنا أن نعتبره أهم التيارات العلمية القوية التي صبت في المجرى العام الذي انتظم واحتوى ذلك العباب الزاخر من النشاط الذي تدفّق في هذه القراءة تلاوة وأداء وربما

(1) الوَنْشَرِيسِي، "المعيار المغرب والجامع المغرب"، 8: 588.

وضبطا وتأليفا ونظما ونثرا؛ خلال الطور الأول والثاني من تاريخ ازدهار المدرسة المغربية في أيام الدولة المرينية، أي في أواخر المائة السابعة وأول الثامنة فما بعد ذلك، فإن إماما فذا من خيار هذا الرعيل قد عاصرهما، وأفاد من هذا المد الثقافي الطامي الذي أسهما واسهم معهما رجال مدرستيهما في دفعه، ذلك هو أبو الحسن بن بري عميد الاتجاه "الرسمي" في قراءة نافع في زمنه وممثل "المدرسة الأثرية" فيه، وصاحب أسير أرجوزة في هذه القراءة احتلت الساحة واستقطبت أهم ما كان يدور فيها من نشاط في البحث والتأليف والتنظير والتوجيه.⁽¹⁾

أبرز مؤلفاته:

1. أرجوزة "الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع" تُعدّ هذه الأرجوزة أشهر مؤلفات المصنف، وأوسعها انتشارًا، وهي منظومة جامعة في علم الرسم والضبط وطرق نافع، اعتمدها حلقات الإقراء المغربية منذ تأليفها، وتوالى العلماء على شرحها والتعليق عليها عبر القرون، حتى أصبحت مرجعًا معتمدًا في هذا الفن. وتعدّ هذه الأرجوزة محور اهتمامنا في هذا البحث، لما لها من أثر بارز في المدرسة القرائية المغربية.
2. "القانون في رواية ورش وقالون"
- نُسب هذا المؤلف إلى المصنف من قِبَل محمد الشرقي الإسحاقني في رحلته، إلا أنه لم يُعثر له على أثر في الخزائن والمكتبات، ولا يُعلم عنه شيء سوى هذه الإشارة الفريدة، مما يثير الشك في وجوده أو نسبة تأليفه إلى المصنف.
3. طرر على "الدرر اللوامع"
- دوّن المصنف طررًا على أرجوزته "الدرر اللوامع"، كتبها على شرح الخراز لهذه الأرجوزة. وتدل هذه الطرر على استمرار تفاعله مع مؤلفه، وحرصه على تطويره وتقييمه فوائده.
4. طرر أخرى على "الدرر"
- أشار ابن القاضي إلى رؤيته طررًا أخرى للمصنف على "الدرر اللوامع"، وجدها مجدولة على نسخة كتبها بخطه، مما يدل على تداولها واعتمادها في أوساط العلماء والنسّاخ.

(1) حيتو، "قراءة الإمام نافع عند المغاربة"، 3: 108.

5. رجز في مخارج الحروف وصفاتها
أحلقه المصنف بأرجوزته "الدرر اللوامع"، ويعدّ ذيلًا متصلًا بها في النسخ المتداولة اليوم، وهو رجز تعليمي في علم التجويد، يعالج فيه مخارج الحروف وصفاتها، مما يكشف عن رغبة المصنف في تقديم عمل متكامل يجمع بين القراءات والتجويد
6. "ذكر الظاء على حروف المعجم
ورد ذكر هذا التأليف في بعض الدراسات الحديثة، وأشار بعض الباحثين إلى وجود نسخة مخطوطة منه بالمكتبة السليمانية بإسطنبول، ضمن مجموعة شهيد علي باشا تحت رقم (7740)، من الصفحات (122-19) .
7. إجازة نظميّة لأبي عمرو الفشتالي
نظمها ابن بَرِّي في أبيات شعرية أجاز بها تلميذه أبا عمرو الفِشْتَالِي، وسيأتي ذكر هذه الإجازة في معرض الحديث عن تلامذته.
8. أبياته في جواب لغز أبي الحسن الحصري
هي ثلاثة أبيات نظمها في الرد على لغز طرحه أبو الحسن الحصري حول كلمة "سوءات"، وقد تم ذكرها سابقًا.
9. "مختصر شرح الإيضاح" في النحو
اختصر فيه شرح "الإيضاح" للأستاذ ابن أبي الربيع العثماني الإشبيلي (تلميذ أبي علي الفارسي). وقد أثنى عليه ابن القاضي قائلًا: "كان أبو الحسن ماهرًا في علم العربية، ولقد اختصر شرح الإيضاح... وحكمه في اختصاره غاية التحكيم".
10. شرح "التهذيب" في اختصار المدونة
وهو شرح على كتاب "التهذيب" في اختصار المدونة" لأبي سعيد البرادعي، غير أن المصنف لم يُكمله، واكتفى بمقدمات منه.
11. شرح قصيدة في علم الفرائض
شرح لأرجوزة في الفرائض لأبي علي الحسن بن عطية الوُنْشَرِيْسِي المكناسي، وقد ذكرها ابن غازي ضمن أعمال ابن بري، وتوجد نسختها المخطوطة بمكتبة الزاوية الحمزاوية بالرّيش في المغرب.

المطلب الثاني: البيئة الثقافية والعلمية التي نشأ فيها الإمام ابن بري

نشأ الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن بري الفاسي في بيئة علمية مزدهرة، تداخلت فيها العناصر الجغرافية والمذهبية والمؤسسية، وأسهمت مجتمعة في تشكيل ملامحه المعرفية، وتوجيهه نحو التخصص في علوم القرآن، لا سيما علم الضبط والرسم. وقد كان لهذا السياق الثقافي المتكامل أثر بالغ في صقل شخصيته العلمية، وتمكينه من الريادة في هذا المجال.

يُشير الأستاذ محمد المنوني إلى أنّ ابن بري ترعرع في ظلّ نخضة علمية شهدها العصر المريني، حيث نشطت الحركة القرآنية، وازدهر تدريس علومها، وانتشرت في ربوع المغرب، ولا سيما في مدينة فاس، التي غدت في تلك الحقبة حاضرة علمية بامتياز، وقبله للعلماء والطلاب. ويذكر المنوني أن من أبرز العلوم المرتبطة بالتفسير، والتي حظيت بعناية خاصة في هذا النسق، ثلاثة علوم مركزية:

1. علم القراءات: هو علم يُعنى بطرائق أداء القرآن الكريم، بحسب الروايات المتعددة، وقد تميز المغرب باعتماد قراءة نافع من رواية ورش، مما جعل هذا التوجه جزءاً من الهوية القرآنية المغربية، وجعل الاشتغال به من أبرز سمات المدرسة المغربية.
2. علم التجويد: ويهدف إلى ضبط النطق القرآني على الهيئة العربية الفصيحة، من خلال تعليم الطلبة أحكام التلاوة، مما يُسهم في استكمال الجانب الصوتي لعلم القراءات، ويُرسخ أداءً قرآنياً منضبطاً.
3. علم الرسم: وهو العلم الذي يُعنى بكيفية كتابة المصحف وفق الرسم العثماني، كما أثبتته المصاحف الأولى، ويُعدّ مكملاً لعلمي القراءات والضبط، لأنه يُحدّد البنية البصرية للنص القرآني ويضبط هيئته الكتابية.

وقد أبرز المنوني عناية السلاطين المرينيين بهذه العلوم الثلاثة، وجعلها في طليعة أولوياتهم التعليمية؛ إذ حُصّ طلابها بالسكنى في المدارس، وحُبّب إليهم طلبها بمنح شهرية، في دلالة

واضحة على مركزية هذه العلوم في السياسة الثقافية للدولة. ومن الشواهد التي أوردها المنوبي في هذا السياق ما جاء في (الذخيرة السنية):

"عن أبي يوسف: وبني المدارس بفاس ومراكش، ورُتّب فيها الطلبة لقراءة القرآن والعلم، وأجرى لهم المرتبات في كل شهر." (1) وقد شكّلت مؤسسات تعليمية كمدرسة الصهرج وجامع الأندلس في فاس حاضنة قوية لهذا التعليم القرآني، حيث احتضنت حلقات التدريس، وتخرّج منها نخبة من القراء والعلماء، كان من أبرزهم الإمام ابن بري، الذي تلقى علومه في كنف هذه النهضة القرآنية، وأسهم لاحقاً في ترسيخ معالمها. (2) وفي هذا الإطار المتكامل، تميزت البيئة العلمية التي نشأ فيها ابن بري بعدة عناصر أساسية:

1. مدينتا فاس وتازة: مركزان علميان متكاملان

شكّلت فاس مركزاً علمياً ودينياً بارزاً في الغرب الإسلامي، حيث استقطبت العلماء والطلاب من مختلف الأقطار، خاصة بعد هجرة علماء الأندلس إثر سقوط مدّهم. واحتضنت جامعة القرويين، التي كانت منارة للعلوم الشرعية والعقلية، حركة تعليمية نشطة. أما تازة، مسقط رأس ابن بري، فقد كانت بوابة المغرب الشرقي ومجالاً لتبادل المعارف بين المناطق، وامتدت إليها الحركة العلمية الفاسية، مما جعلها نقطة إشعاع ثقافي متصلة بالحواضر الكبرى (3). وكان التنقل بين المدينتين أمراً مألوفاً في طلب العلم، ما رسّخ جسور التواصل بين مراكز المعرفة.

2. المذهب المالكي: المرجعية المذهبية والتعليمية

كان المذهب المالكي هو الإطار المذهبي الحاكم للحياة الدينية والعلمية في المغرب الأقصى، وقد انعكس ذلك على المناهج التعليمية ومقررات الدراسة، التي شملت "الموطأ"

(1) المنوبي، محمد، "ورقات عن حضارة المرينيين". (ط1، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

سلسلة بحوث ودراسات، 2000م)، ص: 266-267.

(2) ينظر: المرجع نفسه.

(3) ينظر: المرجع نفسه.

و"المدونة" و"الرسالة". وبما أن هذا المذهب يعلي من شأن القرآن والسنة في الاستنباط، فقد أولى علماء المغرب اهتمامًا بالغًا بعلوم القرآن، ما مهّد لظهور شخصيات علمية متخصصة، كابن بري، في مجال القراءات والرسم والضبط.

3. نشاط التأليف وتراكم المعرفة

تميّز العصر الذي عاش فيه الإمام ابن بري الفاسي بازدهار حركة التأليف والتصنيف في العلوم الشرعية واللغوية، مما أسهم في خلق بيئة معرفية خصبة ومهيأة للبحث والتخصص. وقد عرفت المكتبات، العامة والخاصة، ازدهارًا ملحوظًا، فزخرت بالمصنّفات النفيسة، وتنوّعت مصادر المعرفة التي نهل منها العلماء.⁽¹⁾

وفي هذا الصدد، استفاد ابن بري من الرصيد العلمي المتراكم، وبني على جهود من سبقه، خاصة أعمال الإمام أبي عمرو الداني في فني الضبط والرسم، مما مكّنه من تطوير علم الضبط في إطار الرواية المغربية لورش عن نافع. وإلى هذه الطريق أشار ابن بري في رجزه، قائلاً⁽²⁾: سلكت في ذاك طريق الداني... إذ كان ذا حفظ وذا إتقان

وإذا كان حضور المغرب الأقصى في مجال التأليف في فنون القراءات قد ظلّ محدودًا إلى حدود القرن السادس للهجرة، لا يكاد يتجاوز دائرة الأخذ والتلقّي، فإن مع مطلع القرن السابع الهجري بدأت الشخصية المغربية تفرض ذاتها في هذا الميدان، وتبرز معالمها في عالم التصنيف في علوم القرآن. وعلى الرغم من تأخّر المغرب عن الأندلس والقيروان بنحو قرنين، نتيجة انشغاله بالفتوح والجهاد، فقد تمكّن من تدارك هذا التأخّر، وقطع أشواطًا بعيدة في زمن وجيز، حتى صار مع نهاية القرن السابع يحتلّ مكانة مرموقة في هذا المجال.

وكان للملوك المرينيين دور بارز في دعم هذا التحول العلمي، حيث أولوا عناية خاصة للقرآن الكريم وعلومه، فشيّدوا المدارس، وأسّسوا الداخليات، وهيئوا شروط الإقامة

¹ كنون، "النوع المغربي في الأدب العربي"، 1: 189.

⁽²⁾ ابن بري، أبو الحسن علي بن محمد الرباطي التازي، "أرجوزة الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع". اعنى بنشرها توفيق بن أحمد العبقري، (ط1، مراكش: مكتبة الزيتونة، 2008م)، ص: 14.

والتحصيل لطلاب العلم، كما أوقفوا لها الأوقاف الكافية لضمان استمراريتها واستقلالها. وقد وفّرت هذه السياسة العلمية الرسميّة مناحًا ملائمًا لتراكم المعرفة، وانبثاق أعلام بارزين، كان الإمام ابن بري من أبرزهم، بجهوده في تأصيل علم الضبط والرسم، وتأسيس المدرسة المغربية في تلقي القرآن الكريم.⁽¹⁾

4. التأثير الأندلسي في التكوين العلمي

شكّلت هجرة علماء الأندلس إلى المغرب عاملاً محوريًا في إثراء الحياة العلمية، إذ جلبوا معهم مناهج تعليمية متقدمة وتجديدًا معرفيًا، خصوصًا في علوم القرآن واللغة. وقد تلقى ابن بري عن هؤلاء العلماء واستفاد من طرائقهم، فكان إنتاجه العلمي امتدادًا للمدرسة الأندلسية، ومعبرًا عن تلاقحها مع المدرسة المغربية.

5. الكتاتيب والمساجد: بنية التعليم الأساسي

كان النظام التعليمي قائمًا على الكتاتيب القرآنية في المراحل الأولى، يتبعها حضور حلقات الشيوخ في المساجد الكبرى. وقد بدأ ابن بري حفظه للقرآن في هذه الكتاتيب، ثم تدرّج إلى مجالس العلماء لتعلّم النحو والفقه والقراءات.² وامتاز هذا التعليم بالتركيز على الحفظ، والتلقي المباشر، والإجازة العلمية، مما أسّس لابن بري تكوينًا متينًا ومهارات علمية عالية.

6. ازدهار المدرسة القرآنية المغربية في عهد المرينيين

شهد العصر المريني ازدهارًا علميًا وثقافيًا لافتًا، في ظلّ حالة من الاستقرار النسبي، مكّنت الدولة من توجيه اهتمامها نحو العلم والعلماء. فقد اعتمدت ببناء المدارس والمساجد، وفي مقدّمها جامع القرويين، الذي ظلّ منارةً إشعاعيةً للمعرفة، ومقصّدًا للطلاب من داخل المغرب وخارجه. وقد ساعد هذا المناخ العلمي على بروز المدرسة المغربية في علوم

(1) ينظر: الأمrani، محمد، "ابن بري التازي إمام القراء المغاربة". (ط1، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف

والشؤون الإسلامية، 1996م)، ص: 53.

² أعراب، "القراء والقراءات بالمغرب"، ص: 11.

القرآن، ونشأ ابن بري في قلب هذا الحراك، بين كبار المقرئين والمفسرين، ففتحت موهبته العلمية، ونضح مشروعه القرائي، ليكون من أبرز أعلام هذه المدرسة. وشارك رجال الدولة في هذا النهوض العلمي مشاركة فاعلة، تأليفاً وتحصيلاً، ومنهم السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب المنصور، وأخوه الأمير الأديب الشاعر أبو مالك، والسلطان أبو الحسن بن أبي سعيد، الذي جمع بين الملك والعلم، وكان من كبار الأطباء والعلماء. وقد انعكست هذه العناية في نهضة المدرسة القرآنية المغربية، التي تجلّت في حيوية التأليف، وتنوّع الإقراء، ورفعة المكانة التي نالها العلماء في المجتمع والدولة على السواء.⁽¹⁾ وكان لعلوم القرآن النصيب الأوفر من العناية في برامج التعليم، حتى إن لقب "الأستاذ" لم يكن يُطلق إلا على من تبخّر في علم القراءات. وقد بلغ هذا التقدير مبلغاً عظيماً، إذ وُجد من بين الملوك من يحفظ الروايات ويتقن القراءات السبع، كما أوكل تأديب أبناء الملوك والوجهاء إلى طبقة العلماء القراء. فكان هؤلاء زينة المجالس، ومهجة الدولة، ومحلّ الإجلال في الأوساط العلمية والرسمية.²

وفي تتبّع نشأة المدرسة القرآنية المغربية، يتبيّن أن هذا المسار مرّ بمراحل تأسيس وتطوير؛ بدأ برواد مُمهّدين، وأسهم جيل ثانٍ في ترسيخ معالمها وصياغة هويّتها العلمية. وقد انخرط هذا الجيل في خدمة المذهب القرائي الرسمي للدولة، وهو مقرئ نافع إمام دار الهجرة، فعملوا على تبيين أصوله، وتوضيح قراءاته، ودوّنوا في سبيل ذلك مصنفات عديدة، شكّلت ذخيرة للمغاربة والأندلسيين. وعلى رأس هذا الجيل يبرز الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن التازي، المعروف بابن بري، الذي مثّلت أعماله قمة هذا المشروع العلمي المؤصّل.

وتبعاً لذلك، جاءت منظومته الرائدة الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع، لتجسّد مشروعه العلمي في تععيد علم الضبط وتكريسه وفق الرواية المغربية. وقد أصبحت هذه

(1) كنون، "النبوغ المغربي في الأدب العربي"، 1: 177.

(2) أعراب، سعيد، "القراء والقراءات بالمغرب". (ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م)، ص: 9.

الأرجوزة مرجعاً معتمداً في ضبط المصحف الشريف، تُدرّس وتُشرح في المجالس والمدارس، وأسهمت بوضوح في ترسيخ الهوية القرآنية المغربية المستقلة.

ولم يقتصر تأثير ابن بري على مجال الضبط والقراءات، بل امتدّ إلى علوم اللغة والفقهاء، مما يظهر موسوعيته وتكوينه المتميز. وكان حضوره في حلقات الإقراء والتعليم حضوراً ميدانياً فعّالاً، يزاوج بين النظرية والتطبيق، ويُجسّد العلم في صورته العملية. وقد جعل هذا مشروعه القرائي ذا طابع راسخ حيّ في الوجدان العلمي المغربي، ممتدّ الأثر عبر الأجيال.

المطلب الثالث: إسهام ابن بري في بناء مدرسة الرسم القرآني بالمغرب

تُعَدّ العناية بالمصحف الشريف في المغرب الأقصى سمّة حضارية متجدّرة، لم تقتصر على الحفظ والتلاوة، بل تجاوزت ذلك إلى دراسة علوم القرآن الدقيقة، وفي مقدّمتها علم الضبط والرسم. ومن الشواهد الدالة على أصالة هذا الاهتمام، ظهور أول مصحف بالمغرب في عهد الفتح الإسلامي على يد عقبة بن نافع الفهري، ويُعرف بـ "المصحف العقباني"، وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن نسخة منه كُتبت سنة 47هـ بمدينة القيروان على يد خديج بن معاوية بن مسلمة، برسم الأمير عقبة نفسه. وقد تناقل الملوك هذا المصحف جيلاً بعد جيل، إلى أن وصل إلى الأشراف السعديين، ثم آل إلى العلويين، وكان من بين المصاحف النفيسة التي أرسلها السلطان المولى عبد الله إلى الحرم النبوي، كما ذكر المؤرخ الزباني، مؤكداً أن المصحف العقباني كان ضمنها، مزداناً بالذهب والدرر واليواقيت.⁽¹⁾

كما أسهم فتح الأندلس في مطلع القرن الثاني الهجري في توسيع تداول المصاحف، إذ انتشرت بين الجنود والقادة، وكاد يكون لكل أمير مصحفه، مما أسهم في تنشيط حركة النسخ، وتمهيد السبيل لنشوء تقاليد راسخة في العناية بالرسم والضبط. وعلى آثار هذا الزخم الحضاري، تبلورت ملامح مدرسة مغربية متميزة في علم الرسم، اتسمت بالدقة

(1) أعراب، "القراء والقراءات بالمغرب"، ص: 9.

المنهجية، والوفاء للمأثور، وأسهم في ترسيخها عدد من الأعلام، كان أبرزهم في القرن الثامن الهجري الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن بري الفاسي، الذي اضطلع بدور تأسيسي في تععيد أصول هذا الفن، وتنظيم معامله، مؤسسًا بذلك مرجعية علمية ظل صداها ممتدًا في المدارس القرآنية بالمغرب والأندلس.⁽¹⁾

أولاً: مدرسة الضبط القرآني في المغرب: جذور التأسيس ومرحل التطور

ترجع بدايات العناية بعلم الضبط في المغرب إلى عصور مبكرة، متأثرة بالمدارس المشرقية والأندلسية، وقد تطور هذا العلم عبر ثلاث مراحل رئيسية:

المرحلة الأولى: بدايات النقط والشكل (ما قبل القرن الخامس الهجري)

مع انتشار الإسلام، كُتبت المصاحف في المغرب وفق الرسم العثماني الخالي من النقط والشكل، مما أوجب إيجاد وسائل لضبط الحروف والحركات. وقد تأثر المغاربة بجهود المشرق، خاصة أعمال أبي الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد الفراهيدي، فكان الهدف حماية النص من اللحن والتحريف، خاصة بعد دخول الأعاجم في الإسلام.

المرحلة الثانية: التأثير بالمدرسة الأندلسية (القرنان الرابع والخامس الهجريان)

شهدت الأندلس ازدهارًا علميًا في مجال الضبط، بقيادة أبي عمرو الداني (ت 444هـ)، الذي وضع قواعد محكمة اعتمدها المغاربة لاحقًا، خاصة في كتابه "المحكم في نقط المصاحف". وقد تسرب تأثيره إلى المغرب من خلال تلامذته، وبدأت تتبلور ملامح مدرسة مغربية مستقلة في الضبط.

المرحلة الثالثة: التأسيس المغربي (من القرن السادس الهجري فصاعدًا)

في هذه المرحلة، أبدع علماء المغرب ضوابط جديدة، وابتكروا رموزًا خاصة بالمصاحف المغربية، بما يتناسب مع رواية ورش عن نافع التي غلبت في بلاد المغرب. وهكذا اكتملت

¹ المصدر نفسه.

ملاحم مدرسة مغربية في الضبط، تمزج بين الوفاء للأصول، والاستجابة للخصوصيات المحلية.

ثانيًا: ابن بري ودوره المحوري في بناء المدرسة المغربية

كان دور ابن بري تأسيسيًا وبنويًا، فقد أسهم في جمع شتات هذا العلم، وتقعيده، وترسيخ مرجعيته المغربية الخاصة. وتتجلى ملاحم هذا الدور في المحاور الآتية:

1. توحيد المرجعية وتقعيد المنهج

ورث ابن بري مشهدًا علميًا مشتملًا، متأثرًا بتيارات متعددة، خاصة من المشرق والأندلس. فبادر إلى تنظيم هذا الحقل العلمي، واختار من قواعد الضبط ما يلائم الرواية المغربية الغالبة، معتمدًا التحقيق والترجيح لا التقليد، ونجح في توحيد المنهج وتخفيف الفوارق بين النسخ والقراء.

2. التصنيف المنهجي وتيسير العلم

برزت قدرة ابن بري التعليمية في مصنفاته، وعلى رأسها "تبيين الهجاء"، الذي يجمع بين قضايا الرسم والضبط، ويُعد مرجعًا تعليميًا وعمليًا للنسخ والطلبة. وقد حرص على التيسير المنهجي، مما جعله رائدًا في تقريب هذا العلم وتبسيطه.

3. التأثير في الممارسة والنقل الحي

إذ لم يقتصر تأثيره على موضوع التأليف فحسب، بل تجلّى في واقع التعليم والممارسة. فقد خرّج تلاميذ نقلوا طريقتهم، وأسهموا في ترسيخها عمليًا في المصاحف، ممّا جعل رموز الضبط المغربي، مثل رأس الخاء للسكون والمثلث المقلوب للشدة، من علامات المصحف المغربي المميزة.

4. الربط بين الضبط والقراءات وفق رواية ورش

حيث نظّم ابن بري منظومته الشهيرة "الدرر اللوامع" لخدمة رواية ورش، وأرسى من خلالها نظامًا متوازنًا في الضبط يفصح عن الخصوصيات الصوتية للرواية، ويضمن صحة الأداء، وهو ما عزّز خصوصية المدرسة المغربية.

المبحث الثاني: نظم ابن بري وأثره في تعليم الضبط القرآني بالمغرب

المطلب الأول: نظم الدرر اللوامع: البناء المنهجي ومضامين الضبط

تُعَدُّ منظومة "الدرر اللوامع" في أصل مقرر الإمام نافع "واحدةً من أبرز المتون التعليمية في علم الأداء والضبط بالمغرب والأندلس، لما تميّزت به من صبغة علمية تعليمية، وبناءً منهجيّ راسخ، ومحتوى تربويّ متكامل. فقد شكّلت هذه الأرجوزة مرجعًا مركزيًا في المشهد القرائي المغربي، إذ اعتمدت في الكتابات والمدارس، وتقرّرت في البرامج التعليمية للمعاهد الرسمية منذ العصر المريني، مما يدلّ على عمق حضورها التربوي ومكانتها في تكوين المقرئين والطلبة.

وقد نظمها الإمام ابن بري الفاسي سنة 697هـ، في 273 بيتًا، جمع فيها بين العرض العلمي والتوجيه المنهجي، وضمتها مقدمة وأربعة عشر بابًا وذيلاً ختامياً، كما نقل الأستاذ محمد المنوني عن المثوري في شرحه المخطوط على الأرجوزة. ويُعدُّ سند المثوري عن الشيخ الصالح أبي الحجاج يوسف السدوري المكناسي، الذي تلقاها عن الناظم نفسه في جامع القرويين سنة 723هـ، أعلى أسانيد الرواية، ما يعكس قوة السند ووضوح سلسلة التلقي المباشر⁽¹⁾.

وتزداد أهمية هذه المنظومة حين نعلم أنّها وصلت إلينا بخط الناظم نفسه، في ثلاثة أصول معروفة: أصل عبد المهيمن الحضرمي، وأصل المكناسي، وأصل البلفيقي، وهو ما يدلّ على عناية بالغة بتوثيقها وضبطها وتداولها في الأوساط العلمية. وقد حظيت باهتمام العلماء عبر العصور، فتوالت شروحاتها ورواياتها، وتنوّعت طرق تدريسها، مما عزّز مكانتها وجعلها ركيزة في حلقات التعليم القرآني.

أما من حيث البنية الداخلية للمنظومة، فقد جاءت شديدة التماسك، ومنسجمة مع أهدافها التعليمية، ويمكن تفصيلها كما يلي:

(1) المنوني، "ورقات عن حضارة المرينيين"، ص: 268.

المقدمة: صرّح فيها الناظم بغرضه العلمي، وبيّن مصادره المعتمدة، خاصةً روايتي ورش عن الأزرق وقلون، مع التأكيد على فضل علم القرآن وضرورة الاشتغال به، في توجهه يوازن بين الرؤية التربوية والتمهيد العلمي، وتوزعت الأبواب الأربعة عشر إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: تناول أصول الأداء وقواعد الضبط العامة بين الروايات.

القسم الثاني: حُصص لفرش الحروف، أي المواضع التي تختلف فيها الروايات بحسب الكلمات القرآنية.

الذيل: حُتمت به المنظومة، وتناول مخارج الحروف وصفاتها، دعمًا للجانب الصوتي، واستكمالًا لتكوين المتلقي في علم الأداء.

لقد سعى ابن بري من خلال هذه المنظومة إلى تحقيق تكامل معرفي وتربوي، إذ جمع بين الجانب النظري المتعلق بالضبط والرسم، والجانب التطبيقي في الأداء، متبعًا منهجًا يربط بين التوجيه القرائي والأصول المنهجية، مع الحرص على ترسيخ تقاليد التلقين الشفهية والمنهج المنظوم، وهما من أبرز خصائص الهوية القرائية المغربية.

أولاً: مكانة النظم في البيئة التعليمية المغربية

فُصّلت منظومة "الدرر اللوامع" - في سياقات تعليمية متعددة - على متني الشاطبية ومورد الظمان، لما تمتاز به من سهولة اللفظ ووضوح المعنى وتنوع المضامين، وهي خصائص تقترب من مفهوم "اقتصاد الشكل (Form Economy)"⁽¹⁾، الذي يرى أن وضوح البنية وسلاستها يقويان مهارة القراءة. وقد حظيت بعناية العلماء شرحًا وتحشيةً وتعليقًا، حتى عُدّت من أكثر المنظومات تداولًا من حيث الشروح. ومما يدل على امتداد أثرها:

- تدرّسها في جامِع القُرُوبِيّين بفاس على يد ابن بري نفسه.

- تلقّيتها في الأندلس، وخاصة في المدرسة اليوسفية بغرناطة.

(1) See: Kintsch, Walter, and Teun A. van Dijk, "Toward a Model of Text Comprehension and Production", *Psychological Review* 85, no. 5 (1978): 363 - 394.

- حفظها وشرحها من قِبَل الطلاب في مختلف المراكز العلمية.

1. البعد التربوي والوظيفة التعليمية

تُبرز افتتاحية الأرجوزة البُعد التربوي المهيمن على ذهن المؤلف، كما في قوله:

الحمدُ لله الذي أوزَّننا ... كتابَهُ وعِلْمَهُ عَلَّمنا

فهو يستهل نصه بتمجيد العلم الرباني، ليؤسس بذلك لخطاب تعليمي مقصود، يهدف إلى تيسير الفهم وتثبيت الأداء، لا مجرد نظم الأحكام.¹ وهذا ينسجم مع ما تُشير إليه نظرية الهدف التربوي (Instructional Intent Theory)²، التي تؤكد أن كل نص تعليمي يُبنى حول مقصد وظيفي محدد يوجه بنيته ويؤطر خطابه.

2. التكوين الإقراء المغربي الجماعي للمنظومة

تمثل منظومة "الدرر اللوامع" أداة تعليمية أسهمت في بناء هوية قرائية مغربية، تتميز بالتلقين الصوتي والتلقي المباشر في المجالس العلمية جماعية والمدرسية العتيقة، وهو ما يُطابق مبادئ نظرية الجماعة المتعلِّمة (Communities of Practice Lave & Wenger)، التي ترى أن المعرفة تُبنى من خلال التفاعل داخل جماعة تتقاسم ممارسات وتقاليد معينة عند تدارس علم معين.

3. عرض مسائل الوفاق والخلاف بين الروائتين

أوضح ابن بري في المقدمة منهجه في بيان المسائل الخلافية والوفاقية، حيث يورد مواضع الاختلاف إلى جانب مواضع الاتفاقات، ويُفصح عن بعض ترجيحاته، ويغلب وجهاً على آخر عند الحاجة³، كما في قوله:

بَيِّتُ ما جاء من اختلافٍ ... بَيِّنُهُمَا عَنَّهُ أَوْ ائْتِلافِ

(1) المارغيني، "النجوم الطوالع"، ص 4-5.

(2) See: Lave, Jean, and Etienne Wenger, *Situated Learning: Legitimate Peripheral Participation* (Cambridge: Cambridge University Press, 1991), 29-33.

(3) المارغيني، "النجوم الطوالع"، ص 15.

وَمَا أَطْلَقْتُ فِي الْأَحْكَامِ... مَا اتَّقَى فِيهِ عَنِ الْإِمَامِ

4. المرجعية العلمية ومنهج الداني

حين يعلن ابن بري أنه "سلك طريق الداني" وأخذ عن "أبي الربيع ابن حمدون"، بقوله¹:

سَلَكْتُ فِي ذَاكَ طَرِيقَ الدَّانِي ... إِذْ كَانَ ذَا حِفْظٍ وَذَا إِتْقَانٍ

حَسَبًا قَرَأْتُ بِالْجَمِيعِ... عَلَى ابْنِ حَمْدُونِ أَبِي الرَّبِيعِ

فإنه يمارس ما تسميه نظريات البحث العلمي ببناء النسب المعرفي (Epistemic Lineage)، وهو مبدأ منهجي تقوم عليه شرعية الإنتاج العلمي، حيث يُعزز الباحث أو المؤلف حجية عمله عبر إسناده إلى مرجعيات معروفة ومعتمدة. وهذا ما يظهر أيضًا في قوله:

أُورِدَتْ مَا أَمْكَنَنِي مِنَ الْحُجَجِ... مِمَّا يُقَامُ فِي طِلَابِهِ حَجَجٌ

ثانيا: مضامين الأرجوزة

1. البناء الداخلي للأبواب والمسائل التطبيقية

افتتح ابن بري الفاسي قسم "الأصول" في منظومته الدرر اللوامع بباب الاستعادة، مُعتمداً في عرض القضايا على منهج إدماجي تركيبى، إذ لم يفصل الأبواب بعناوين صريحة كما هو مألوف في التصنيف التقليدي، حيث قام بإدراجها ضمن بنيات الأبيات، موجهاً الطالب ضمناً إلى طبيعة الباب ومضمونه²، كما في قوله:

القولُ فِي التَّعَوُّذِ الْمُخْتَارِ... وَحُكْمِهِ فِي الْجَهْرِ وَالْأَسْرَارِ

ثم انتقل إلى تناول البسملة، بوصفها أول موضع بارز يظهر فيه التمايز بين الروايتين (قالون وورش)³، فقال:

(1) المارغيني، "النجوم الطوالع"، ص 15 - 16.

(2) المرجع نفسه، ص 18.

(3) المرجع نفسه، ص 20-21.

الْقَوْلُ فِي اسْتِعْمَالِ لَفْظِ الْبَسْمَلَةِ ... وَالسَّكْتِ وَالْمُحْتَارِ عِنْدَ التَّقْلِهِ

قَالُوا بَيْنَ السُّورَتَيْنِ بِسْمَلًا... وَوَرَشَ الْوَجْهَانَ عَنْهُ نُقْلًا

وَأَسْكُتُ يَسِيرًا تَحْتَ بِالصَّوَابِ ... أَوْصِلَ لَهُ مُبَيِّنَ الْإِعْرَابِ

يكشف هذا التدرج في تقديم المسائل حرص ابن بري على البناء التربوي التلقيني للمضامين، إذ يُراعى ترتيب القضايا تبعاً لأهميتها الصوتية والتعليمية، وهذا يُطابق ما تُشير إليه النظريات التربوية المعاصرة، ولا سيما نظرية التعلّم السياقي (Contextual Learning Theory)، التي تؤكد على أهمية تقديم المهارات في سياقات واقعية مرتبطة مباشرة بتجربة المتعلم، بما يعزز الترسّخ العملي ويقلّل التجريد الذهني.

كما أن هذا النوع من التصنيف النَّظْمِي يُوظّف ما يُعرف في اللسانيات التعليمية بالتمثيل الضمني للمعرفة (Implicit Knowledge Representation)¹، حيث يتم تعليم الطالب دون الحاجة إلى تقنين المصطلحات أو فصلها في عناوين، وهو ما يحفّز الذاكرة السمعية والحفظ التداولي لدى المتعلّم القرآني.

علاوة على ذلك، فإن اختيار المواضيع التي يبدأ بها الخلاف بين الروايات يبرز ما يمكن تسميته بالوعي الفونولوجي البنائي، إذ يتم التدرج من المسائل البسيطة إلى المعقّدة، مع إدماج مباشر بين الصوت والدلالة والنحو، كما يظهر في بيت:

..... أَوْصِلَ لَهُ مُبَيِّنَ الْإِعْرَابِ

وهذا الربط بين الصوت والبنية الإعرابية يُعبّر عن منظور تكاملي في الدرس الصوتي، يدمج بين الأداء الصوتي (الشفوي) والمعرفة النحوية (الكتابية)، وهو ما مثّل أحد ركائز المدرسة القرآنية المغربية في تأصيل القراءة والتجويد، وهذا الاختيار يدل على وعي ابن بري بأهمية ترتيب المسائل بحسب أثرها الصوتي والتلقيني.

2. باب الهمز

(1) See: Roehr-Brackin, Katrin, "Explicit and Implicit Knowledge and Learning of an Additional Language: A Research Agenda", Language Teaching 57, no. 1 (2022): 68 – 86.

يُعدّ باب الهمز من أكثر أبواب علم التجويد تركيباً من الناحية الصوتية (Phonetic Complexity)، نظراً لتعدد أوجه الأداء فيه بين الروايات، وقد خصّص الإمام ابن بري الفاسي لهذا الباب خمسة وعشرين بيتاً، استعرض من خلالها جملة من القواعد الإجرائية الدقيقة، مستهلاً إياه بقوله¹:

القولُ في التحقيقِ والتسهيلِ ... للهمزِ والإسقاطِ والتبديلِ

والهمزُ في النطقِ به تكلفٌ ... فسَهْلوهُ تارةً وحذفوا

وأبدلوهُ حرفَ مدٍّ محضاً ... ونقلوهُ للسكونِ رفضاً

وتنوع المعالجة الصوتية في هذا الباب بين أربعة محاور كبرى:

- تحقيق الهمز وتسهيله حسب السياق.
- الإبدال بأنواعه (واو، ياء، ألف).
- الاختلاس والإسقاط في المواقع ذات الأداء المخفّف.
- نقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها، وهي ظاهرة صوتية مركبة تستوجب وعياً حركياً متوازناً.

ويبرز من خلال هذا الباب الطابع الفونيتيكي التجريبي (Experimental Phonetics) في منهج ابن بري، إذ يعزز القواعد النظرية بأمثلة تطبيقية تبرز مواقف الراويين ورش وقالون من كل حالة صوتية، مع مراعاة موضع الهمز داخل الكلمة ووقعه بين الحروف. وهذه المقاربة تكشف عن إدراك واضح لما تسميه الدراسات الصوتية الحديثة التحليل الوظيفي للسياقات النطقية، والذي يفترض تعاملاً مرناً مع الصوت بحسب موقعه.

3. الهمزة المفردة ونقل الحركة

في جزءٍ ثانٍ من الباب، يعالج ابن بري مسألة الهمزة المفردة، وهي التي لا يرافقها همز ثانٍ، مبرراً خصوصية مذهب ورش في الإبدال والنقل. يقول²:

(1) المارغيني، "النجوم الطوالع"، ص 51.

(2) المارغيني، "النجوم الطوالع"، ص 64.

أبدل ورش كل فاءٍ سَكَنْتُ ... وبعد همزٍ للجميع أُبْدِلْتُ

يشير البيت إلى ظاهرة صوتية تتعلّق بإبدال الهمزة الساكنة، الواقعة في موضع فاء الكلمة - أي الحرف الأول من الجذر الثلاثي - إذا سُبِقَتْ بـهمزة متحركة في أول الكلمة، كما في: "ءامن، إيماناً، أوتي". فالهمزة الثانية تُبدل حرف مدّ من جنس حركة الأولى، دفعاً لثقل اجتماع همزتين في كلمة واحدة، وتفسر هذه الظاهرة اليوم على أساس مفهوم الاقتصاد الصوتي (Phonological Economy) في النظريات الصوتية الحديثة.

ثم ينتقل ابن بري إلى معالجة ظاهرة نقل حركة الهمز إلى الساكن قبله، وهي وسيلة أدائية بارزة عند ورش، وتُعدّ من أدق مظاهر الأداء التجويدي المرتبطة بالممارسة السمعية، ويتميز عرض ابن بري في هذا الصدد بما يمكن تسميته البيداغوجيا التلقينية التطبيقية (Applied Oral Pedagogy)، حيث يهدف إلى ترسيخ مهارة الأداء لا الاكتفاء بتقرير الحكم.

وتبعاً لذلك تُظهر هذه المعالجة لظاهرة الهمز - بشقيها التحقيقي والتسهيلي - إدراكاً عميقاً لما يُعرف في تعليم النطق المعاصر بالوعي الصوتي البنوي (Structural Phonemic Awareness)، إذ يُدرّب الطالب على التمييز بين:

- درجات النطق الكاملة (التحقيق).
- وحالات التسهيل (التلين والإبدال).
- وظواهر النقل والإسقاط.

ويُعدّ هذا التمرين الصوتي أحد أبرز معالم تكوين الحس الفونولوجي القرآني (Qur'anic Phonological Sensibility)، والذي يُعدّ أحد المكونات الأساسية في التكوين القرآني المغربي، حيث يُلقّن الطالب أداء الهمز مشافهة، ويتدرّب على تمييز الأصوات المتجاورة واختبار النطق السليم في سياقات واقعية من القرآن.

4. باب الإظهار والإدغام العام

انتقل ابن بري بعد باب الهمز، إلى باب الإظهار والإدغام العام، وخصّه بـ اثني عشر بيتاً، تناول فيها القواعد الكلية لإدغام الحروف، سواء كان إدغامًا تامًا أو ناقصًا، كما بيّن أحكام التقاء النون الساكنة أو التنوين بالحروف الستة، معتمداً على الترتيب التجويدي المعروف، ومبرزاً أوجه الأداء المختلفة بين قالون وورش حيث وقع الخلاف، وقد حافظ ابن بري على بساطة العرض ودقته، مما يدل على عنايته بتيسير المسائل للمتعلمين.

- إدغام النون والتنوين:

يُعدّ إدغام النون والتنوين من المحاور الجوهرية في علم التجويد، لما يتطلبه من ضبط رصين للمخارج والصفات والمراتب الصوتية. وقد أفرد له الإمام ابن بري باباً مستقلاً ضمن منظومته الدرر اللوامع، جاء فيه قوله:

ذُكِرَ إدغامُ النَّونِ والتنوينِ ... والقلبِ والإخفاءِ والتبيينِ
وأظهروا التنوينَ والنونَ معاً ... عندَ حروفِ الحلقِ حيثُ وقعا
وأدغموا في "لم يرَ" لكنّه ... أبقوا لدى هجاءِ "يومٍ" غنةً

استعرض ابن بري في هذا الباب:

- قواعد الإدغام بغنة وبدون غنة.
- مواضع الإظهار والقلب والإخفاء.
- والخلافات بين الراويين ورش وقالون في بعض المواقع¹.

وقد التزم ابن بري ترتيباً تعليمياً مألوفاً في كتب التجويد، وهو ما يدل على استيعابه للنسق البيداغوجي في التعليم القرآني التقليدي. كما أن معالجته المتميزة لأنماط الإدغام تعكس فهماً خاصاً لما يُعرف في الصوتيات المعاصرة بالتحوير السياقي للصوت (contextual assimilation)، حيث تُدغم الحروف في غيرها بناءً على القرب الصوتي والتجاور الفونيتيكي.

(¹) المارغني، "النجوم الطوالع"، ص 83 - 88.

من جهة أخرى، يُشكل هذا الباب مثالاً حيّاً على بناء الحس الإدغامى (Assimilatory Sensibility) لدى الطالب، وهو ما يُعدّ من أرقى مراحل التكوين الصوتي في المدارس القرآنية المغربية، حيث يُدرّب المتعلم على إدراك الدقائق السمعية وممارستها شفويّاً إلى جانب مهارات الحفظ والضبط.

ويُطابق هذا التوجه ما توضحه نظريات اكتساب اللغة الثانية في جانب النطق، خاصة في نظرية "الوعي السمعي التفرقي (Contrastive Auditory Awareness)"¹، والتي تؤكد أهمية التمرن المكثف على التمييز بين الأصوات المتقاربة، وتمثلها عبر التكرار النشط في بيئة تلقينية حية.

5. باب الفتح والإمالة

ينتقل ابن بري بعد ذلك إلى أحد أكثر الأبواب ارتباطاً بالهوية الصوتية لرواية ورش، وهو باب الفتح والإمالة، ويتدثه بقوله:

القولُ في المفتوح والممالِ ... وشرح ما فيه منَ الأقوالِ

ثم يوضح ابن بري قواعد الإمالة، مميّزاً بين الإمالة بسبب الراء أو الياء الساكنة، ومتوقفاً عند كلمات بعينها مثل: "الهدى، الذكرى، حتى، على..." مبيّناً مواضع الإمالة الصغرى، والخلاف الواقع بين القراء.

ويؤسس هذا الباب لما يمكن تسميته اليوم بالهوية الصوتية للرواية (recitational phonetic identity)، حيث تتميز رواية ورش بإمالات خاصة لا توجد في غيرها، مما يكوّن عند الطالب المغربي وعياً موسيقياً نغمياً بالأداء (Prosodic Sensibility)، وهو ما تشير إليه أبحاث اللسانيات الحديثة باعتباره أحد مظاهر التنشئة الفونولوجية السياقية.² (Contextual Prosodic Socialization)

(1) Schmidt, Richard, "Awareness and Second Language Acquisition", Annual Review of Applied Linguistics 13 (1992): 206 – 226.

(2) See: House, Juliane, "The Role of Prosody in Constraining Context Selection: A Procedural Approach", Nouveaux Cahiers de Linguistique Française 28 (2007): 369–383.

وفي قوله:

أمالَ ورشٌ من ذواتِ الباءِ ... ذا الراءِ في الأفعالِ والأسماءِ
نحو "رأى" "بشرى" "تترا" "اشتري" ... و"يتواری" "النصارى" "القرى"
والخُلْفُ عنه في أريكهُم وما ... لا راءَ فيه كاليتامى ورمى
وفي الذي رُسم بالياءِ عدا ... حتى زكى منكم إلى على لدى

نلاحظ دمجًا جادا بين قواعد الإمالة، واعتبارات الرسم في المصحف، مما يُبرز التداخل بين الأداء والصورة الخطية، في توجه منهجي جادٍ يفسح عن نضج المدرسة المغربية في مراعاة المصحف العثماني في نسق التعليم الشفوي¹.

وهذا البعد التكاملية بين الرسم والأداء يجد صدق في التربية الصوتية الحديثة، ضمن ما يسمى بالنموذج المتعدد الوسائط (Multimodal Input in Phonological Instruction)²، حيث يُدرّب الطالب على الصوت والكتابة والنغمة في نسق واحد، يعزز الذاكرة السمعية والبصرية معًا.

يمثل هذان البابان - الإدغام والإمالة - ذروة ما يسميه المختصون اليوم بالبناء الصوتي الاستراتيجي في تعليم النطق، حيث تُرسخ مهارات الأداء من خلال التدريب السياقي المستمر، والتلقّي الشفوي المباشر، والتفاعل مع النص من حيث الإيقاع والبنية. وفي السياق المغربي، تُعتبر معالجة ابن بري لهذه الأبواب أحد أبرز أمثلة التطبيق الصوتي التربوي الذي انتقل من النظرية إلى الممارسة، مؤسسًا لجيل من القراء المتقنين الذين يجمعون بين الوعي الصوتي، والتمكن من الأداء، والانضباط بالرسم، وهو ما يظل إلى اليوم من ركائز المدرسة القرآنية العتيقة بالمغرب.

(¹) المارغيني، "النجوم الطوالع"، ص 91.

(²) See: Hardison, Dana M., "Multimodal Input in Second-Language Speech Processing", Language Teaching 54, no. 2 (2020): 206-220.

المطلب الثاني: أثر المنظومة في التعليم القرآني بالمغرب

1. مظاهر التأثير

لقد تجاوز تأثير منظومة (الدرر اللوامع) حدود التأليف التعليمي إلى إشعاع علمي واسع، جعلها تحظى بمكانة مرموقة في أوساط القراء والمقرئين. فرغم أن ابن بري لم يكن أول من نظم أصول قراءة نافع، إذ سبقه في ذلك أمثال ابن القصاب (ت 690هـ) وابن آجروم (ت 723هـ) صاحب البارع، إلا أن منظومته امتازت عن سابقتها بانتشارها الأوسع وتأثيرها الأعمق، وهو ما تؤكد شهادة الخراز (ت 718هـ) حين قال: "فتداولها الناس في البلدان، وتعاهد درسها الكهول والوالدان"⁽¹⁾ في إشارة واضحة إلى عموم نفعها، واندراجها في سياق التلقين الشفهي لدى مختلف فئات المتعلمين، كبارًا وصغارًا.

ويُعزِّز هذا التأثير ما أورده بعض المتأخرين من إشادة بجودة المنظومة ووضوحها المنهجي، حيث وصفها أحدهم بأنها:

"من أجلّ ما ألف فيها من المختصرات التي اغنت عن كثير من المطولات، أرجوزة الإمام الفاضل، العامل الكامل، القارئ المحقق، والمقرئ المدقق، ذي العلوم الرائقة، والمصنفات الرائقة، أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن حسين الرباطي المشهور بابن بري، وهي المسماة بالدرر اللامع أصل مقرئ الإمام نافع، فقد ضمنها قراءة نافع من روآتي قالون وورش، وبيّن الخلاف بينهما في الأصول والفرش، وأورد فيها ما أمكنه من الفرش، وأورد فيها ما أمكنه من الحجج والتوجيهات، مع الاختصار وقلة التعقيد في العبارات، ولذلك اعتنى كثير من الناس بحفظها، واشتغلوا بقراءتها وفهم ألفاظها، وقد شرحها جماعة من العلماء الفحول، فمنهم من أطل في بيان التعليل والإعراب وجلب الضعيف من النقول، ومنهم من اختصر وعقّد العبارة واكتفى عن التصريح بالإشارة"⁽²⁾

(1) الخراز، "القصد النافع لبغية الناشئ والبارع على الدرر اللوامع في مقرئ الإمام نافع"، ط1، جدة: دار الفنون

للطباعة والنشر، 1993م، ص: 33.

(2) أعراب، "القراء والقراءات بالمغرب"، ص: 25.

مشيراً إلى ما تضمنته من عرض شامل لأصول روايتي قالون وورش، وبيان للخلافات بينهما، واستحضار للحجج والتوجيهات، مع الاقتصار على عبارة موجزة سهلة، بعيدة عن التعقيد. وقد أفضى هذا التوازن بين الشمول والاقتصار إلى عناية الناس بحفظها، والاشتغال بفهمها وقرآتها، وحرص العلماء على شرحها وتدريسها، بما في ذلك من توسع في الإعراب والتعليل أو اعتماد أسلوب الإشارة المكتف.

وتدلّ هذه الشهادات مجتمعة على قوة الإشعاع التعليمي الذي أحدثته المنظومة، وحضورها البارز في مؤسسات التكوين القرائي، مما جعلها أداة تعليمية رئيسة، ومصدراً أصيلاً من مصادر علم الضبط المغربي.

2. إسهام التلاميذ في إشاعة المنظومة

أسهم تلامذة ابن بري في نشر منظومته (الدرر اللوامع) وتدريسها، فكانوا امتداداً تعليمياً لرؤيته القرائية، ومن أبرزهم أبو الحجاج يوسف بن علي بن عبد الواحد السدوري المكناسي (ت 781هـ)، الذي يُعدّ من أوثق الرواة عنه، حيث تلقى المنظومة سماعاً من الناظم نفسه بجامع القرويين سنة 723هـ، ثم نقلها إلى غرناطة ودرّسها بالمدرسة اليوسفية، مما جعلها جزءاً من البناء القرائي بالأندلس، وتؤكد رواية المنتوري (ت 834هـ) عن قراءته للمنظومة عليه سنة 774هـ، واعتماده على أصل بخط الناظم أودعه المكناسي، أن هذا التلميذ أسهم بفاعلية في ترسيخ حضور المنظومة علمياً من خلال التدريس والتوثيق، فعدت مادة مقرّرة في الحلقات العلمية ومرجعاً معتمداً لدى القراء في المغرب والأندلس.⁽¹⁾

ومن التلاميذ الذين حافظوا على هذا الامتداد التعليمي أيضاً أبو عبد الله محمد بن علي القيجاطي (ت 811هـ)، الذي تفقه عليه المنتوري وقرأ عليه شرح المنظومة، مما يدل على استمرار تلقي الدرر اللوامع عبر الأجيال في رؤية علمية حية.

كما بلغ تأثير المنظومة آفاقاً أبعد، حيث تلقاها أبو عبد الله الماغوسي السلوي (ت 1016هـ) في الإسكندرية، وروى سندها عبر ابن غازي المكناسي (ت 910هـ)، بما

(1) المنوني، "ورقات عن حضارة المرينيين"، ص: 268.

يعكس الامتداد الجغرافي والمنهجي للمنظومة في الشرق والغرب، ويدل على استمرارية حضورها العلمي ضمن حلقات الأداء القرائي.

وقد أسهمت هذه العلاقة المتسلسلة في الحفاظ على وحدة المنهج القرائي في الغرب الإسلامي، وعززت من مركزية المنظومة داخل الحلقات التعليمية والمقررات القرائية الرسمية على مدى قرون.

3. الشروح المتعددة والمنهج الاتباعي

شكلت منظومة (الدرر اللوامع) محورًا تعليميًا بارزًا في مجال القراءات، وهو ما انعكس في تعدد شروحها وتقييدها في المغرب والأندلس، بل وفي أقطار أخرى من العالم الإسلامي كالمشرق وتونس، مما يدل على إشعاعها الواسع وتأثيرها المستمر، ومن أوائل من شرحها الإمام الخراز (ت 718 هـ) في كتابه القصد النافع لبغية الناشئ والبارع، وقد اعتمد فيه على روايته المباشرة عن ابن بري، فكان شرحه شاهدًا أصيلًا على تداول المنظومة في حياة مؤلفها. كما شرحها المنتوري شرحًا تعليميًا بُني على روايته لها عن أبي الحجاج المكناسي، ويُعدّ من النماذج التي تعكس التداول الحي للمنظومة في الحلقات العلمية.

وقد انتمت هذه الشروح في مجملها إلى المدرسة الاتباعية الأثرية التي تأسست على جهود أبي عمرو الداني، وتميّزت بالالتزام بالمأثور، والتركيز على تحقيق الأداء وضبط الرسم القرآني دون الخروج عن المنقول. ولهذا، جاءت شروح الدرر مشفوعة بالتزام أقوال الأئمة المتقدمين، مما جعلها وعاء حافظًا للتراث القرائي، ووسيلة لتوحيد الأداء بين مدارس المغرب والأندلس.

وتجلى هذا التفاعل المعرفي في تراكم تفسيري ونظمي ثري، من ذلك أرجوزة تفصيل عقد الدرر لمحمد بن أحمد بن غازي (ت 919 هـ)، التي توسّع فيها في طرق نافع العشر مستلهمًا بناء الدرر. كما شرحها أبو راشد يعقوب بن يحيى الحلفاوي (ت 999 هـ)، مُبررًا دقائقها العلمية ومقاصدها التعليمية.

وفي سياق التفاعل النقدي، نظم محمد بن جابر المكناسي (ت 827هـ) أرجوزة استدرائية توسّع فيها في بعض المواضع التي لم يُفصّل فيها الناظم، بينما نظم أبو القاسم أحمد التازي أرجوزة الدرّة السنية في ترجيح خلاف البرية، عدد أبياتها مئة، ضمّنها ما صح من كتاب التجريد، ورجّح فيها أقوال ابن بري، مُصرِّحًا بقوله:

وكلُّ ما أتى في ذا التقييد منظّمًا صحّ من التجريد⁽¹⁾

ومن التقييدات المتأخرة المهمة تقييد أحمد المارغني التونسي، الذي فرغ منه سنة 1320هـ، ممّا يدل على استمرار حضور المنظومة وتأثيرها في بيئات علمية مختلفة إلى عصور متأخرة.

وتكشف هذه التراكمات العلمية عن قوة أثر الدرر اللوامع، وقدرتها على تحفيز الشرح والاستدراك والتقييد، بما يجعلها من المتون التأسيسية التي ساهمت في تأصيل علم الضبط، وتثبيت روايات نافع في العالم الإسلامي.

3. المنهج الفني:

تميّزت أرجوزة (الدرر اللوامع) لابن بري بمنهج فني متزن، يكشف انتماءها الواضح إلى المدرسة الأثرية (الاتباعية)، وهي المدرسة التي تأسست على جهود الإمام أبي عمرو الداني وسارت على نمجه. ويقوم هذا المنهج على الالتزام بالمأثور في الأداء والرسم والضبط، مع تجنّب الرأي أو الاجتهاد في مواضع لا تحتمل الخلاف.

وقد عمد ابن بري إلى صوغ هذه القواعد في قالب رجزي تعليمي، جمع فيه بين ضبط الأصول وتقييد الفرش، ملتزمًا بالأوجه المشهورة عند أئمة الأداء. فكانت منظومته تلي حاجات المبتدئين وتعين المتقدمين على الضبط والإتقان، مع اعتماد لغة فنية دقيقة، وتوازن محكم بين الإيجاز والبيان، مما جعلها معتمدة في الحلقات العلمية، وموضع عناية شراح المدرسة الاتباعية في المغرب والأندلس.

(1) ينظر: أعراب، "القراء والقراءات بالمغرب"، ص: 33.

4. مركزية فاس وظهور الكراسي العلمية

برزت مدينة فاس بوصفها المركز الأهم لتدريس منظومة (الدرر اللوامع)، حيث أسهمت في ترسيخ حضورها في الدرس القرائي، خاصة في جامع القرويين. فقد كانت قراءة نافع تُلقن فيها اعتماداً على الحصرية و"حرز الأمان"، إلى أن جاء ابن بري بمنظومته، فغلب رجزه على الأداء، لما فيه من ضبط منهجي واتساق مع المدرسة الاتباعية.

وقد أشار أبو زيد عبد الرحمن بن القاضي (ت 1082هـ) إلى أن ابن بري تفوق بتنظيم باب الرءات، الذي غفل عنه كثير من المؤلفين، مما زاد من مكانة منظومته عند المقرئين. فعدت الدرر اللوامع مرجعاً معتمداً يغني عن غيرها، لا سيما لتوافقها مع توجه الفني والمذهبي لمقرئي فاس، الذين أولوا عناية خاصة بقواعد الضبط والرسم. كما نشأت على أساسها كراسي علمية مستقلة، تحظى بالأوقاف والتوقيات المنتظمة، مما يجلي تأثير المنظومة الواضح ومركزية فاس في إشعاعها التعليمي.

5. المنظومة في جامع القرويين

شكل جامع القرويين بفاس البيئة الحاضنة الأولى لمنظومة الدرر اللوامع، حيث درّسها ابن بري بنفسه مطلع القرن الثامن الهجري، فكانت تلك البداية إيداناً بتحوّل المنظومة إلى مادة رسمية ضمن مناهج الكرايس التعليمية. وقد لقيت من العناية ما جعلها تؤسس كرسيًا علميًا مستقلاً داخل الجامع، خصصت له أوقاف معينة تُصرف لمن يتولى تدريسه في أوقات مضبوطة ومنتظمة.

ويُظهر هذا التنظيم المؤسسي مدى حضور المنظومة في المشهد التربوي والعلمي لفاس، حيث باتت تُدرّس بوصفها نصّاً مرجعياً في قراءة الإمام نافع، يُعتمد عليه في التكوين المنهجي للمقرئين، ضمن تقليد علمي متين يجمع بين الأداء والرسم والضبط.

الخاتمة

سلطت هذه الدراسة الضوء على المكانة العلمية والتربوية لمنظومة الدرر اللوامع، التي أسسها ابن بري الفاسي في بيئة جَامِعِ القُرَوِيِّينَ بفاس، والتي تُعدُّ مدرسة علمية متكاملة جمعت بين الأداء والرسم والضبط، وأسست لتقليد قرائي أُصيِلَ في المغرب والأندلس، امتد تأثيره إلى المشرق وأقطار إفريقيا.

لقد أظهرت الدراسة أن ابن بري كان مهندسًا معرفيًا، حيث لم يكتفِ بوضع نظام ضبطي بحت، بل أسس لبنية علمية متماسكة، تضم مصطلحات وأصولًا وقواعد دقيقة، جعلت من الضبط القرآني في المغرب علمًا مستقلًا وراسخًا، حملته الأجيال من بعده، ليصبح جزءًا من الهوية الدينية والعلمية المغربية.

وقد برهنت الدراسة على أن منظومة الدرر اللوامع كانت محورًا أساسيًا في منظومة التعليم القرآني التقليدي، حيث تحولت إلى مادة رسمية تُدرس في حلقات جَامِعِ القُرَوِيِّينَ عبر كرسي علمي مستقل، وباتت جزءًا من التكوين المنهجي للمقرئين. وقد وقف الباحث على نتائج منها:

1. تميز المنهج القرائي لابن بري بدمج الأداء والرسم والضبط ضمن منهج علمي متكامل، متجذر في المدرسة الأثرية.
2. ترسيخ الضبط المغربي كعلم مستقل له أصوله ورموزه، يحافظ على الهوية القرآنية المغربية.
3. انتشار المنظومة وتأثيرها عبر تلامذة ابن بري، خصوصًا أبو الحجاج المكناسي، من المغرب إلى الأندلس والشرق.
4. تعدد شروح المنظومة وانتشارها في مختلف الأقطار، مما يدل على قيمتها العلمية والتربوية.
5. نشوء كرسي تعليمي مستقل داخل جَامِعِ القُرَوِيِّينَ، يعكس التنظيم المؤسسي للعناية بالمنظومة.

6. تثبيت المنظومة ضمن المناهج الرسمية للتعليم القرآني في المغرب، مع نظام دعم مالي وتنظيمي واضح.

التوصيات:

1. إعادة إدماج منظومة الدرر اللوامع في التعليم القرآني المعاصر، مع مراعاة خصوصية الهوية المغربية.
2. تطوير وسائل تعليمية حديثة تعتمد على التكنولوجيا الرقمية، مثل التطبيقات والمنصات التفاعلية، لتيسير تعلم المنظومة.
3. الاهتمام بتحقيق ودراسة المخطوطات الأصلية للمنظومة وشروحها، لتكريس البحث العلمي في علوم القرآن.
4. توحيد معايير الضبط المغربي في المصاحف المطبوعة، بالرجوع إلى المنهج الأصلي لابن بري.
5. دعم البيداغوجيا القرآنية الأصيلة التي تجمع بين التلقين الشفهي والتقنيات التربوية الحديثة.
6. تعزيز مكانة المدرسة المغربية في المحافل العلمية الدولية، وتسهيل الضوء على إسهامات ابن بري في التراث القرآني.

المصادر والمراجع:

- الإسحاقى، أبو محمد. الرحلة الحجازية. مخطوطة محفوظة في خزانة القرويين، رقم 1259.
- أعراب، سعيد. القراء والقراءات بالمغرب. (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988).
- الأمراني، محمد بن أحمد. ابن بري التازي إمام القراء المغاربة. (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996).
- ابن بري، أبو الحسن علي بن محمد الرباطي التازي. أرجوزة الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع. اعتنى بنشره: توفيق بن أحمد العبكري. (ط1، مراكش: مكتبة الزيتونة، 2008).
- الحفناوي، أبو القاسم محمد. تعريف الخلف برجال السلف. (الجزائر: مطبعة بيبير فونتانة الشرقية، 1906).
- حميتو، عبد الهادي. قراءة الإمام نافع عند المغاربة. (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003).
- الخرزاز. القصد النافع لبغية الناشئ والبارع على الدرر اللوامع في مقرئ الإمام نافع. تحقيق محمد محمود التلميذي. (جدة: دار الفنون للطباعة والنشر، 1993).
- ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة. (بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1954).
- السائح، الحسن. الحضارة الإسلامية في المغرب. (ط2، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1986).
- السوسي، محمد المختار. المعسول في الإلغيين وأساتذتهم وتلامذتهم وأصدقائهم. (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.).

الشاطبي، أبو القاسم. حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع. (القاهرة: مطبعة مصطفى محمد، 1934).

الشنقيطي، الشيخ أحمد ولد الطالب محمود ولد أعمر الإدوعيشي. اتحاف القاري والمتعلم بنظم ابن بري ت: 731 هـ للدرر اللوامع مع الأخذ والمقدم. (نواكشوط: دار الإسرائ للطباعة والنشر والتوزيع، 2023).

ابن غازي، محمد بن أحمد. التعقل برسم الإسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد. تحقيق الزاهي. (الدار البيضاء: دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1979).

القيسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الفتوري. شرح الدرر اللوامع في أصل مقر الإمام نافع. تحقيق الصديقي سيدي فوزي. (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2001).

كّتون، عبد الله. النبوغ المغربي في الأدب العربي. (الدار البيضاء: دار الثقافة، 1988).
المارغيني، إبراهيم. النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقر الإمام نافع. (ط1، بيروت: دار الفكر، 1995م).

المنوني، محمد. ورقات عن حضارة المرينيين. (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 20، 2000).

الْوَشْرِيّسي، أحمد. المعيار العرب والجامع المغرب. تحقيق محمد عثمان. (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2011).

References

A'rab, Sa'id. *Al-Qurrā' wa al-Qirā'āt bi al-Maghrib [The Readers and Readings in Morocco]*. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1988.

Al-'Amrāni, Muḥammad ibn Aḥmad. *Ibn Berri al-Tazi: Imām al-Qurrā' al-Maghribiyyīn [Ibn Berri al-Tazi: The Imam of*

- Moroccan Qur'ānic Readers*]. Rabat: Ministry of Endowments and Islamic Affairs, 1996.
- Al-Hafnawi, Abu al-Qasim Muhammad. *Ta'rīf al-Khalaf bi-Rijāl al-Salaf [Introducing the Successors to the Predecessors]*. Algiers: Pierre Fontana al-Sharqiyya Press, 1906.
- Al-Ishaqi, Abu Muhammad. *Al-Rihla al-Ḥijāziyya [The Hijazi Journey]*. Manuscript, Qarawiyyin Library, no. 1259.
- Al-Kharrāz. *Al-Qaṣd al-Nāfi 'li-Bughiyat al-Nāshi' wa al-Bāri' 'alā al-Durr al-Lawāmi' fī Maqra' al-Imām Nāfi'* [*The Beneficial Aim for the Aspiring and Brilliant on "The Shining Pearls" in the Reading of Imam Nāfi'*]. Edited by Muḥammad Maḥmūd al-Tilimīdī. Jeddah: Dar al-Funūn, 1993.
- Al-Mannūnī, Muḥammad. *Waraqāt 'an Ḥaḍārat al-Marīniyyīn [Papers on the Civilization of the Marinids]*. Rabat: Faculty of Arts and Humanities Publications, 2000.
- Al-Marghini, Ibrahim. *Al-Nujūm al-Ṭawāli' 'alā al-Durar al-Lawāmi' fī Aṣl Maqrā' al-Imām Nāfi'* [*The Rising Stars on "The Shining Pearls" Regarding the Reading Tradition of Imam Nāfi'*]. Beirut: Dar al-Fikr, 1995.
- Al-Qaysi, al-Faṭḥūrī Abu 'Abd Allāh Muḥammad ibn 'Abd al-Malik. *Sharḥ al-Durr al-Lawāmi' fī Aṣl Maqrā' al-Imām Nāfi'* [*Commentary on "The Shining Pearls" in the Origin of Imam Nāfi''s Reading]*. Edited by al-Ṣiddīqī Sīdī Fawzī. Casablanca: al-Najah al-Jadida Press, 2001.
- Al-Sayih, Al-Hasan. *Al-Ḥaḍāra al-Islāmiyya fī al-Maghrib [Islamic Civilization in Morocco]*. 2nd ed. Casablanca: Dar al-Thaqafa Publishing and Distribution, 1986.
- Al-Shatibi, Abu al-Qasim. *Ḥirz al-Amānī wa Wajh al-Tahānī fī al-Qirā'āt al-Sab'* [*The Protection of Hopes and the*

Expression of Joy in the Seven Readings]. Cairo: Mustafa Muhammad Press, 1934.

Al-Shinqīṭi, Ahmad ibn al-Ṭālib Maḥmūd ibn ‘Umar al-Idū ‘īshī. *Itihāf al-Qārī wa al-Muta‘allim bi-Naẓm Ibn Berri ‘alā al-Durr al-Lawāmi‘* [Enriching the Reader and Learner with the Poem of Ibn Berri on “The Shining Pearls”]. Nouakchott: Dar al-Isrā’ for Publishing and Distribution, 2023.

Al-Sūsi, Muḥammad al-Mukhtār. *Al-Mu‘sul fī al-Ilghiyīn wa Asātidhatihim wa Tilāmīdhihim wa Aṣḍiqā‘ihim* [Al-Mu‘sul: On the People of Ilich, Their Teachers, Students, and Friends]. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, n.d.

Al-Wansharisi, Ahmad. *Al-Mi‘yār al-Mu‘rab wa al-Jāmi‘ al-Mughrib* [The Explained Standard and the Comprehensive Collection of the Maghreb]. Edited by Muḥammad ‘Uthman. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 2011.

Ḥamītu, ‘Abd al-Hādī. *Qirā‘at al-Imām Nāfi‘ ‘inda al-Maghāriba* [The Reading of Imam Nāfi‘ Among Moroccans]. Rabat: Ministry of Endowments and Islamic Affairs, 2003.

Hardison, Dana M. “Multimodal Input in Second-Language Speech Processing.” *Language Teaching* 54, no. 2 (2020).

House, Juliane. “The Role of Prosody in Constraining Context Selection: A Procedural Approach.” *Nouveaux Cahiers de Linguistique Française* 28 (2007).

Ibn Ghāzī, Muḥammad ibn Aḥmad. *Al-Ta‘aqqul bi-Rasm al-Isnād, ba‘d Intiqāl Ahl al-Manzil wa al-Nād* [Rationalizing the Use of Isnād After the Departure of the Household and the Gathering]. Edited by al-Zāhī. Casablanca: Dar al-Maghrib for Publishing, 1979.

- Ibn Khaldun, ‘Abd al-Raḥmān. *Al-Muqaddima [The Introduction]*. Beirut: Dar al-Kitab al-Lubnani, 1954.
- Ibn al-Ribati al-Tazi, Abu al-Hasan ‘Ali ibn Muhammad (Ibn Berri). *Urjūzat al-Durr al-Lawāmi ‘fī Aṣl Maqra’ al-Imām Nāfi’ [The Poem of Shining Pearls on the Origin of the Reading of Imam Nāfi’]*. Edited by Tawfiq ibn Aḥmad al-‘Abqarī. Marrakesh: al-Zaytuna Library, 2008.
- Kinnun, ‘Abd Allah. *Al-Nubūgh al-Maghribī fī al-Adab al-‘Arabī [Moroccan Genius in Arabic Literature]*. Casablanca: Dar al-Thaqafa, 1988.
- Kintsch, Walter, and Teun A. van Dijk. “Toward a Model of Text Comprehension and Production.” *Psychological Review* 85, no. 5 (1978).
- Lave, Jean, and Etienne Wenger. *Situated Learning: Legitimate Peripheral Participation*. Cambridge: Cambridge University Press, 1991.
- Roehr-Brackin, Katrin. “Explicit and Implicit Knowledge and Learning of an Additional Language: A Research Agenda.” *Language Teaching* 57, no. 1 (2022).
- Schmidt, Richard. “Awareness and Second Language Acquisition.” *Annual Review of Applied Linguistics* 13 (1992).